



كلية الآداب واللغات

تخصص: دراسات فنون تشكيلية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الموسومة بعنوان:

الفسيفساء في الجزائر جدارية محكمة تلمسان بحث في القيم الجمالية

إعداد الطالبتين:

➤ ميمون سارة

➤ سعيداني يامنة

لجنة المناقشة

1. د. خواني زهرة مشرفا/مقررا

2. د. بلشير عبد الرزاق رئيسا

3. د. قليل سارة مناقشا



كلية الآداب واللغات

تخصص: دراسات فنون تشكيلية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الموسومة بعنوان:

الفسيفساء في الجزائر جدارية محكمة تلمسان بحث في القيم الجمالية

إعداد الطالبتين:

➤ ميمون سارة

➤ سعيداني يامنة

لجنة المناقشة

1. د. خواني زهرة مشرفا/مقررا

2. د. بلشير عبد الرزاق رئيسا

3. د. قليل سارة مناقشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى من قال فيهما اله سبحانه و تعالى : "ولاتقل لهما
لُفء ولا تنهرهما "إلى روح اللتين احتضنتاني و انا صغيرة إلى رمز
العطاء و الحنان إلى التي شدت قلبي بحنانهما وطبعتا روحي بروحهما
إلى القلب الكبير أمي ، أمي رحمهما الله و أسكنهما جنة الفردوس .

إلى ستر الأمان والاستقرار في الحياة ومعنى في السراء

والضراء إلى من كلفه الله بالصبة والوقار "والدي العزيز"

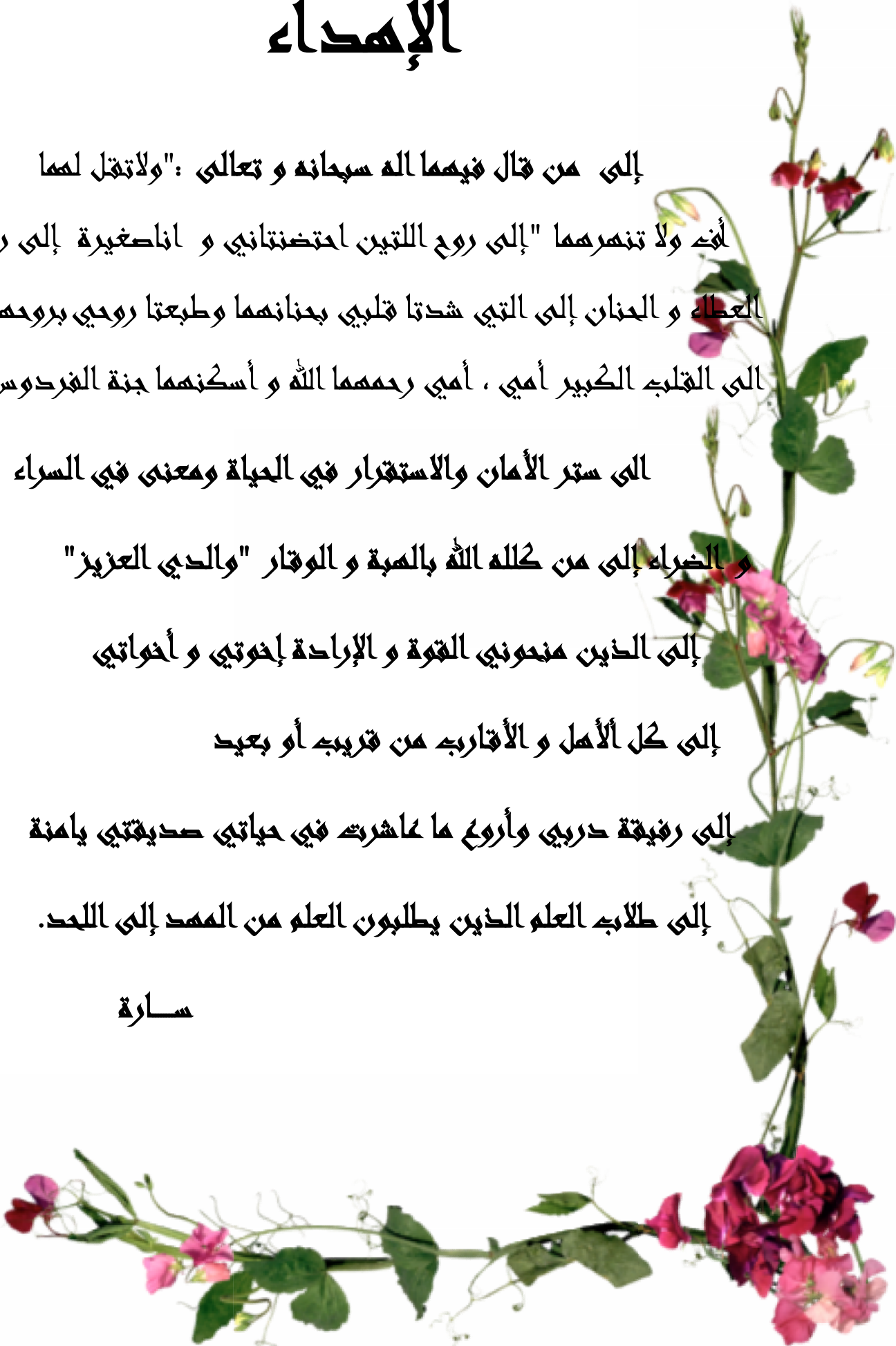
إلى الذين منحوني القوة والإرادة إخوتي و أخواتي

إلى كل أهل و الأقارب من قريب أو بعيد

إلى رفيقة دربي وأروغ ما عاشرت في حياتي صديقتي يامنة

إلى طلاب العلم الذين يطلبون العلم من المهد إلى اللحد.

سارة



إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من أفاض عليا بالدعوات و علماني
معنى الحياة إلى اللذان مهما أكتب عنهما لا تكفيني الصفحات .
إلى من أوصى الله بها خيرا إلى أظهر وجه هذا الكون و أسمى
قلبه في هذا الوجود إلى من علمتني تخطي دروب الحياة
وإلى نبع الحنان و التضحية "أمي الحبيبة و الغالية فاطمة " أطال الله في
عمرها.

إلى العزيز الذي بأبوته وضعت في أعلى المقامات
و بإرشاداته ركبته سبل النجاة .إلى الرجل الذي تخطى الحياة
لأجلي و أنار لي دربي لأصل ما وصلت إلى الذي علمني بأن
الحياة

سلاح "أبي الغالي " سعيد" أطال الله في عمره إلى الشمعة التي تنير
دربي "أختي الغالية"

إلى من علمني معنى التحدي و التفاؤل في الحياة و رسم البسمة على
وجهي "زوجي الكريم "

إلى شريكتي في هذا العمل و في الحياة " سارة "

إلى من ساندتني و كانت دوما بجانبني "ابنة خالي "

إلى كل أصدقائي و صديقاتي .

يامنة

شكر وتقدير

تتسابق الكلمات و تتزاحم العبارات لتعبر عن شرفنا إلى من وفقنا في أداء هذا العمل المتواضع أولا نحمد الله تعالى و بركاته على إيمانه لنا في عملنا ، كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر و التقدير إلى الأستاذة "خواني زهرة" لتبنيها البحث و إحاطتها بكل جزئياته قصد الإرتقاء به إلى صورة مشرفة.

نشكر أيضا جميع أساتذتنا في قسم الفنون .

كما نشكر جميع الذين أسدوا لنا النصح و الإرشاد و المساعدة ماديا ومعنويا.

أتقدم بالشكر الجزيل أولا وقبل كل شيء ، لأستاذي

المشرف الذي ساعدني في كل خطوة من خطوات هذا

البحث وقام بتوجيهي وإرشادي لتحقيق نتائج هذا البحث ثم أتقدم

بالشكر لكل من ساعدني في إتمام هذا البحث



خطة البحث

مقدمة

الفصل الأول: الفسيفساء النشأة والتطور

تمهيد

المبحث الأول: فن الفسيفساء

المبحث الثاني: تاريخه وتطوره

الفصل الثاني: الفسيفساء في الجزائر

تمهيد

المبحث الأول: الفسيفساء في الجزائر

المبحث الثاني: أبرز معالم الفسيفساء في الجزائر

الفصل الثالث: الفسيفساء في مدينة تلمسان

تمهيد

المبحث الأول: الفسيفساء في تلمسان

المبحث الثاني: دراسة تحليلية لجدارية محكمة تلمسان

الخاتمة

مقدمة

تعرف أراضي شمال إفريقيا العديد من المواقع الأثرية الهامة التي تحتوي على فن الفسيفساء، ونظرا لما لها من أهمية وقيمة تاريخية وكذلك كثرتها فإن دراستها استهوت العديد من الباحثين ودارسي الفن من مختلف مناطق العالم، فظاهرة انتشار الفسيفساء سواء في شمال إفريقيا أو في الإمبراطورية الرومانية يعود إلى غنى المنطقة بالصخور العديدة والمتنوعة ذلك ما حفز على الاهتمام بهذا الفن وتطوره.

وبواسطة شظايا معدنية وقطع من الحجر و الخزف والفخار وغيرها يتم رصفها وتزيينها بشكل فني وجد دقيق، استطاع فناني الفسيفساء تغطية الجدران و أرضيات الساحات العمومية والمنازل والمعابد والقصور والمساجد وغيرها بالفسيفساء التي كانت لها علاقة وطيدة بالجانب الحرفي، وذلك من حيث قص القطع الفسيفسائية ورصفها وتزيينها وإصاقها، وهكذا استطاعت الفسيفساء أن تسجل حضورها ومكانتها بامتياز خاصة بدخول الرومان إلى إفريقيا.

تسمح لنا دراسة فن الفسيفساء بالاطلاع على مظاهر الحياة اليومية والجوانب الدينية والاقتصادية إضافة إلى معرفة الذوق الفني والجمالي لمجتمعات الفترات القديمة.

إن ما يهم في هذا البحث هو التعرف على مفهوم فن الفسيفساء ونشأته وتطوره وكذلك التعرف على أهم معالم الفسيفساء في الجزائر، كون أن هذا الفن تضمن مواضيع عديدة ومتنوعة مثلت مختلف جوانب الحياة.

يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع لعدة اعتبارات من بينها: هذا الموضوع له من الخصوصيات التي تجعله عملا قيما وهاما يجمع بين جانبين مهمين: الجانب الأول تاريخي أما الثاني فهو اثري متعلق بفن عريق ومتجدد وهو "فن الفسيفساء" كما أن الموضوع يساهم في إثراء المعارف المتعلقة بهذا الفن خاصة كونه تواجد بعدة مناطق من الجزائر ويعطي فكرة شاملة للقارئ لكنه من معرفة العديد من المعلومات عن هذا الفن.



بالإضافة إلى أنه قد تم اختيارنا لهذا الموضوع **عريضة** في استنكناه معالم هذا الفن والغوص في باطن رموزه وعلاماته.

هذه الأسباب استدعت منا وضع الإشكالية التالية:

✓ ما مدى أهمية الفسيفساء في إثراء الفن التشكيلي الجزائري المعاصر وما تأثيره على الملتقى بقراءته الدلالية؟

✓ ما هو فن الفسيفساء؟ وكيف نشأ وتطور عبر التاريخ؟

✓ كيف كانت بدايات فن الفسيفساء؟ وكيف وصلت إلى شمال إفريقيا؟

✓ فيما تتمثل أهم معالم الفسيفساء بالجزائر وخاصة جدارية محكمة تلمسان؟

✓ ما هي الأبعاد الفنية والتقنية والفلسفية لجدارية محكمة تلمسان؟.

وفي محاولة الاجوبة عن هذه التساؤلات قد اتبعنا المنهج التاريخي في تقصي نشأة وتطور هذا الفن **والنهج الوصفي التحليلي** في قراءة الجدارية..

وطبيعة الموضوع تحكمت في تقسيم البحث، حيث تمحور عملنا على النحو التالي: مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ولقد وضعنا الأشكال ومختلف الصور ضمن الفصول.

الفصل الأول: عنوان بـ: "الفسيفساء النشأة والتطور" حيث اشرنا فيها إلى بعض العموميات

الخاصة بالفسيفساء من حيث تعريفها ونشأتها وتطورها عبر التاريخ.

الفصل الثاني: كان بـ عنوان "الفسيفساء في الجزائر" وقد تعرضنا فيه إلى أهم المناطق التي

احتوت على الفسيفساء بالجزائر إضافة إلى أهم المنجزات الفسيفسائية المتواجدة بالجزائر كما أثرنا

ببحثنا بالعديد من الصور التوضيحية كنماذج للوحات الفسيفسائية بالجزائر كونها لم يحظ بالقسط

الكافي من الدراسة والبحث مما زاد من اهتمامنا بمثل هذه المواضيع.

الفصل الثالث: تناولنا فيه الفسيفساء في مدينة تلمسان إضافة إلى دراسة تحليلية لجدارية فسيفساء متواجدة بمحكمة تلمسان وسط المدينة، حيث قمنا بأخذ صورة لها وقمنا بتحليلها ومحاولة تفسير دلالات ورموز هذه اللوحة الفسيفسائية..

وقد اخترنا هذا التقسيم لا على سبيل الحصر وإنما على سبيل التقديم ونسبة التسلسل التاريخي، واستنادا على المراجع التي عثرنا عليها.

وأنهينا البحث بخاتمة تضمنت بعض النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة وهي بمثابة الإجابات عن تساؤلات إشكالية الموضوع.

اعتمدنا في دراسة موضوعنا في البداية بجمع المعلومات والمعطيات التاريخية والأثرية، أما المراجع المعتمد عليها في إنجاز هذا البحث فهي عديدة يتصدرها كتاب "فن الفسيفساء الروماني: الناظر الطبيعية لمؤلفته عبير قاسم، "صيانة وحماية الفسيفساء لمؤلفه إبراهيم بظاظو وآخرين، وكتاب "الفسيفساء فن عريق ومتجدد" لوسى ديب إيري، وكذا معجم مصطلحات الفنون لصالح الدين أبو عياش ومعجم الأعلام والأساطير اليونانية والرومانية لمؤلفه أمين سلامة، إضافة إلى سلسلة الفن والثقافة متاحف الجزائر، وكذا الموسوعة العربية لمد عزيز شكري دون أن ننسى كتاب الفسيفساء لمؤلفه حمادة الوزان وعدة مراجع أخرى.

ولا نغفل على المراجع الأجنبية التي نذكر منها جرد فسيفساء تيمقاد التي قامت بها الباحثة سوزان جرمان 1969 (Suzanne germain, les Mosaïques de Timgad) وكتاب الفسيفساء المائية في الجزائر لصباح فردي Sabah Ferdi (les Mosaïques des eaux en Algérie)

بالإضافة إلى رسائل الماستر نذكر منها: الفسيفساء الرومانية في الجزائر مدينة تيبارة نموذجا للطالبة إبرير زهرة.

وكذلك مذكرة الفن التشكيلي الجزائري لمد بوسديرة.



على جري العادة الدراسات الأكاديمية تواجه صعوبات عديدة تعطل من السير المنتظم للبحث ولعل أهم الصعوبات التي واجهناها هي:

■ النقص الفادح للمادة الأولية المتمثلة في المقالات والنصوص الخاصة بالفسيفساء خصوصا بالجزائر، هذا من جهة ومن جهة أخرى نقص في المراجع والدراسات الحديثة في هذا الميدان.

■ قلة المراجع السيميولوجية التي تتناول تحليل الأعمال الفنية، وإن وجدت فهي باللغة الأجنبية هذا ما طرح مشكلة أخرى وهي صعوبة ترجمة بعض المصطلحات التقنية.

ميمون سارة

سعيداني يامنة

2018/06/26 م الموافق لـ 12 شوال 1439 هـ



الفصل الأول

الفسيفساء النشأة والتطور

تمهيد

المبحث الأول: فن الفسيفساء

المبحث الثاني: تاريخه وتطوره

المبحث الأول: فن الفسيفساء

تمهيد :

كانت حضارة الشعوب والأمم تقاس بمدى تقدمها في الآداب والفنون، فالفنون هي مرآة الشعوب، بينما الآداب هي صوت الأمم، ولذلك كان التعبير عن الطبيعة من خلال الفن يمثل انعكاسا تغنى به الشعراء في كتاباتهم ويمكننا القول ان فن الفسيفساء كان متطورا عن الفنون الاخرى التي اهتمت بتصوير الطبيعة، فكانت البدايات متمثلة بتصوير الطبيعة.¹

1. مفهوم الفسيفساء:

لم تتوسع المصادر والمراجع العربية في تعريف الفسيفساء، فقد جاء في قاموس المحيط: فسيفساء (E) Mosaïque Mosaic (F) حج (وسيط) الفسيفساء قطع صغيرة ملونة من الرخام أو الحصى أو الخرز أو نحوها يضم بعضها إلى بعض فيكون منها صور ورسوم تزين أرضية البيت أو جدرانها، كما عرف هذا الفن :

في مختار القاموس: الفسيفساء: ف س ف س، ألوان من الخرز تركب في حيطان البيوت من داخل أو رومية، أما بالنسبة للموسوعة العربية فجاءت بما يلي: الفسيفساء Mosaïque مصطلح أصل لاتيني "بسيفوسيس Poephosis" استخدمه العرب للتعبير عن فن تطبيقي لموضوعات إبداعية ومادته متمثلة في مجموعة من القصص الصغيرة التي لا تفوق مساحتها 1 سم².²

وه عبارة عن حجر أصلية ملونة أو زجاجية تصنع من مادة السيليكس مع أكاسيد متنوعة وتلوينها.³

¹ عبير قاسم، فن الفسيفساء الروماني (المناظر الطبيعية Landscape Roman Mosaic) ماجستير في الآثار اليونانية والرومانية، 44 شارع سلوتير + الأ زارطة، ملتقى الفك 1999، الإسكندرية، ص 29.

² حمادة الوزان، الفسيفساء، دار أمجد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015، ص 5.

³ حمادة الوزان، الفسيفساء، المرجع نفسه، ص نفسها.

كما نجد أيضا أن مصطلح الفسيفساء يرجع في الأصل إلى الكلمة اليونانية Muses والتي يقصد بها الهة الفنون والجمال والإلهام الفني اللواتي ارتبط اسمهن لفظيا بين كلمة mosaic التي تعني الفسيفساء وهذه الأخيرة وصلة إلى اللغة العربية على اسم Psephos و التي عربت لاحقا لتصبح Fass ولقد عرف اليونان هذا الفن باسم Tessera Terchnique وهي كلمة لاتينية يقصد بها مكعب cubes أو dices أي الأشكال المكعبة والمنتظمة التي تم قطعها من الحجارة أو الزجاج، إضافة إلى أنه أطلق على الفسيفساء كذلك مصطلح Opus tessellatum في حالة المكعبات منتظمة، أما في حالة المكعبات غير المنتظمة فأطلق عليها اسم opus vermiculatum.¹

وقد جاء في معجم مصطلحات الفنون أن الفسيفساء من أقدم فنون التصوير، وهو فن وحرفة صناعة المكعبات الصغيرة واستعمالها في زخرفة وتزيين الفراغات الأرضية والجدران عن طريق تثبيتها في فوق الأسطح الناعمة وتشكيل التصميم المتنوعة المختلفة الألوان مع إمكانية استخدام مواد متنوعة كالحجارة والمعدان والأصداف والزجاج وغير ذلك.²

وفي العادة يتم توزيع الحبيبات الملونة المصنوعة من تلك المواد للتعبير عن قيم دينية وحضارية وفنية بأسلوب فني مؤثر و الفسيفساء يعتبر فن العصور الإسلامية بامتياز كون الفنانين المسلمين أبدعوا فيها وطوروا هذا الفن وتفننوا به وأنجزوا منه أشكالا في قمة الروعة في المساجد ويظهر ذلك من خلال المآذن والقباب وفي القصور والنوافير والأحواض المائية إلى غير ذلك.

لكن عاد هذا الفن العريق للظهور من جديد بصورة حديثة مواكبة للعصر حيث ظهر في المنازل والقصور والأسواق الحديثة وفي الحمامات وفي أحواض السباحة وفي جداريات ضخمة رائعة.³

¹الطرشان، نزار، المدارس الأساسية للفسيفساء الأموية في بلاد الشام، رسالة ماجستير، عمان، الجامعة الأردنية، 1989، ص 3-10.

²د.صلاح الدين أبو عياش، معجم مصطلحات الفنون، الجزء الثاني، دار اسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2015، ط1، ص 807-808.

³د. صلاح الدين أبو عياش، معجم مصطلحات الفنون، ص 808.

كما سبق لنا الذكر أن الفسيفساء فن قديم وعلى الرغم من استخدامه من طرف الإغريق على الأقل في العصر السكندري، إلا أن أصل الاسم ليس إغريقيا مع أنه يتشابه مع الكلمة الإغريقية Movoa.¹

أطلقت على الفسيفساء في روما الكلمة اللاتينية Musivum التي ظهرت متأخرة، كما ظهر في فترات مبكرة لدى الرومان استعمالهم لكلمة abaculi عند الحديث عن مكعبات الفسيفساء.²

ونجد ذلك خاصة عند بليفي في كتابه (التاريخ الطبيعي naturalis histoire) أما كلمة emblema فقد وجدنا في كتابات فارو* الذي كتب في فترة كل من سولا وقيصر، وقد أطلقت هذه الكلمة على التابلوهات الفسيفسائية ذات المستوى الراقى.³

عند الرومان يعد فن الفسيفساء عبارة عن تطور لفن تصوير المناظر الطبيعية منذ آلاف السنين حيث استمد الرومان فكرة تصوير الطبيعة من شدة حبه للمناظر الطبيعية التي هي في اعتقادهم تدل على الإنسان ومهنته، حيث صورت مظاهر الحصاد وجمع القمح والصيد في النهر وكانت هذه الفكرة مأخوذة عن الفنون المصرية القديمة.

وباتساع الإمبراطورية الرومانية وازدهارها تم انتشار اللوحات الفسيفسائية المركزية التي أنجزت بواسطة فنانين، اشتغلوا في ورشة معينة.⁴

¹ عبير قاسم، فن الفسيفساء الروماني (المناظر الطبيعية Roman Mosaic Landscape)، ص 26.

² عبير، قاسم، فن الفسيفساء الروماني (المناظر الطبيعية Roman mosaic)، ص 22.
*فارو Marcus Terentius Varro (116، 27 ق.م) ولد في الشم ال شرقي من روما، أكمل 490 كتابا عندما بلغ 78 عاما ومن أشهر هذه الأعمال على الإطلاق عن اللغة اللاتينية « delingua Latina » وعن الزراعة « dereustico ».

³ عبير قاسم، المرجع نفسه، ص 27.

⁴ المرجع نفسه، ص 29.

2- ما هي الفسيفساء Mosaic بالإنجليزية؟

الفسيفساء هي لوحة فنية مكونة من أحجار قاسية على شكل مكعبات قياس الحجر الصغير يكون حوالي 2 سم، 1 سم مع إمكانية كونه أكبر قليلا أو أصغر قليلا وذلك يرجع إلى نوعيتها أو بالاحرى إلى حضارتها وتاريخ اللوحة ومنه الزجاج، حيث يوجد لوحات فسيفسائية زجاجية إلا انها قليلا وتتكون من إحساس في التصميم والترصيع والتركيب، ولعل أشهر من استعمل الفسيفساء هم الرومان والبيزنطيين واليهود والفاطميين والعباسيين وغيرهم، ونجد استعمال الفسيفساء بكثرة في المعابد الرومانية والبيزنطية وفي الكنائس.¹

كما تعتبر الفسيفساء وثيقة تاريخية لا يمكن الاستغناء عنها، تسمح لنا دراسته بالتعرف والاطلاع على أهم مظاهر الحياة اليومية والجوانب الاقتصادية والدينية، إضافة إلى معرفة الذوق الفني والجمالي للمجتمعات القديمة، كونها استخدمت في زخرفة الارضيات عموما ونادرا ما ترصع على الجدران، وبذلك عرف الفسيفساء على أنه فن زخرفة الأسطح برسومات منجزة بواسطة قطع صغيرة من خامات ملونة تجمعها إلى جوار بعضها سواء بالأسلوب المباشر أو غير المباشر للحصول في الأخير على الرسم أو التصميم المطلوب، وأما عن التصميم فقد يكون رسما هندسيا أو نباتيا أو تصويرا آدميا وحيوانيا يبرز مواضيعا دينية وديوية أو أساطير خرافية.²

ترجم كلمة "فسيفساء" بالكلمة الشائعة في جميع اللغات الأوربية "موزيك" بالفرنسة "La mosaïque" بالألمانية "Mosaiken" أما بالإسبانية "Mosaico"، فالمعاجم والموسوعات الأجنبية تجعلها مشتقة من الكلمة اللاتينية "موزيوم أبوص" "Muséum opuse"³.

¹ Kounouz. Ahlamontada.com/t1072-topic.

² عميرية نور الهدى، زيول فاطمة الزهراء، المعبودات من خلال الفسيفساء الرومانية في شمال إفريقيا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة 8 ماي 1945، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، سطيف، 1436هـ/1437هـ، 2015م/2016م، ص 88.

³ عميرية نور الهدى، زيول فاطمة الزهراء، المعبودات من خلال الفسيفساء الرومانية في شمال إفريقيا، ص 8.

بالإضافة إلى ذلك نجد أن كلمة الفسيفساء يطلق عليها في اللغة الإنجليزية "Mosaic"، أما بالنسبة للمعنى العلمي لكلمة موزاييك فعرف لاحقات من طرف الرومان في اللغة اللاتينية Parmentum Tesseris structum ويقصد بها الارضية المبنية من مكعبات صغيرة وملونة من بينها الطبيعية كالخصى والصخور بأنواعها والأصداف، أو بمراد مشكلة نذكر منها: الفخار والزجاج وهي ذات أشكال حركية تشكل زخرفة هندسية ونباتية أو إنسانية أو حيوانية.¹

3- نشأة فن الفسيفساء

وقد عرفت لفظة "موزاييك" لأول مرة في نص لاتيني متأخر، يرجع إلى عهد الإمبراطور "ديو كلوسان" "Diocletien" واستع مدلولها ليعني كسوة الجدران فهي كلمة مشتقة من اللغة اليونانية، ويقصد بها الموضوعات الزخرفية المؤلفة من جمع اجزاء صغيرة ومتعددة ذات احجار والوان مختلفة، وتثبت إلى جانب بعضها البعض مكونة صور مختلفة ومشاهد متنوعة.²

كما اعتبرت اللوحات الفسيفسائية من بين الخامات الفنية التي سمحت لنا بمعرفة مختلف الورشات السائدة آنذاك، وأهم المواضيع التي شاعت بتشكيلها، هذا إضافة إلى استخدامها في تصوير المشاهد، وتظهر من خلال هذه الأعمال الفنية خامات طبيعية وصناعية ومن الخامات الطبيعية نجد الرخام وبعض الأحجار الكريمة أما الصناعية فتتمثل في الفسيفساء الزجاجية والخزفية، وقد تم استخدام هذه الفسيفساء عموماً سواء الطبيعية أو الصناعية في تزيين وتجميل الأسطح المعمارية، حيث يذكر "جيوسيب بوفيتي" تعريف "دومينيكو جولاندايو Domenico Ghirlandio" مادة الفسيفساء بأنها: "الطلاء الأصل المتجدد على مر الزمان".³

¹ عمائرية نور الهدى، المرجع نفسه، ص 9.

² عمائرية نور الهدى، المعبودات من خلال الفسيفساء الرومانية في شمال إفريقيا، ص 10.

* ديوكليسيان (245م-305م) هو إمبراطور روماني حكم الإمبراطورية من 284م إلى 285م و288م و296م، انتصر على الألمان سنة 285م وعلى الفرس سنة 288م.

³ عمائرية نور الهدى، المعبودات من خلال الفسيفساء الرومانية في شمال إفريقيا، ص 10.

كما عرف الموزاييك أو ما يسمى بفن الفسيفساء منذ قدّ الزمان عند الإغريق واشتهر به أيضا الرومان¹، فهو فن عريق يقوم على صنع مشهد فني ملون، ويمكن اعتباره أسلوبا من أساليب الزينة والزخرفة.²

بالنسبة للمفهوم اللفظي لكلمة "فسيفساء" فهي تعود في الأصل إلى كلمة "فسيفوس" اليونانية وتعني الحجر الصغير، ومن ثم بدأت هذه الكلمة عند العرب الشرقيين وبالأخص في سوريا تطلق على كل شيء مذكر صغير وبالنسبة للمؤنث فتطلق عليه "فسفوسة" أما مصطلح النص المفراد وبصيغة الجمع نصوص فهي للدلالة على الفسيفساء اسم الموزاييك، وفي المغرب العربي أطلق عليه اسم التزليج.³

الفسيفساء بمفهومها الكلاسيكي المنتشر في العصر الهلنستي والروماني ثم البيزنطي وحتى بداية العصر الإسلامي تتألف من فصوص مربعة صغيرة رصفت في ألواح كبيرة من أجل تزيين جدران الأماكن العامة وأرضياتها، وكذا المعابد والكنائس والقصور حيث تمثل هذه الألواح مشاهد دينية واسطورية، فقد ظهرت الفسيفساء مرادفة للصور الجدارية التي كانت قليلة الانتشار فكان غرضها تزيينها كما سبق وذكرنا. كانت النوافذ الزجاجية مكونة من قطع من الزجاج صغيرة تثبت مع بعضها لتشكيل صورة ما، حيث تقطع الأحجار الطبيعية بمنشار ومقراض وعرفت بألوان محددة باردة.⁴

أما تحضير فصوص الفسيفساء الزجاجي فلما يضر من السيليكيات السائلة بفعل الحرارة العالية وفيما يخص تلوينها فتلون بالأكاسيد ويتم صبها بعد ذلك في قوالب محجرة على شكل مربعات وهذا من أجل تسهيل قرضها وتحضيرها للرصف والتثبيت، ويتم تحضير الألواح الفسيفسائية مهما كان نوعها زجاجية أم حجرية بإعداد الكرتون أي ما يعرف باللوحات التحضيرية ثم بعدها يشرع الصانع في توزيع الفصوص الملونة حسب الصور التحضيرية.

¹ إبراهيم بظاظو وآخرون، صيانة وحماية الفسيفساء دراسة في الساحة المستدامة، ط1، مؤسسة الوراق، عمان، 2013، ص 13.

² نورهان الجنيدي، سحر التفاصيل في خلق الجمال: فن الموزاييك، صناعته، تاريخه وحاضره، جانفي 2015م، ص 01.

³ حمادة الوزان، الفسيفساء، ص 05.

⁴ د. محمد عزيز شكري، الموسوعة العربية، المجلد 14، مؤسسة الصالحين للطباعة، ط1، 2002، ص 539.

وعادة ما يتم توزيع هذه النصوص يتم توزيع هذه الفصوص وفق خطوط إنسانية نظامية باتباع قاعدة معينة، وقد تعددت طرق تثبيت الفصوص حيث أن أحدثها هي رصفها على قماش سبق أن خططت عليه معالم التصميم أو الموضوع الفني وتلصق مقلوبة فصا فصا على القماش بواسطة مادة النشاء أو غيرها، ثم يتم قلب القماش الحامل لها على سطح ما وتسكب عليها مادة ملاطية، ثم أصبحت من الاسمنت المسلح بالحديد وحديثا تستعمل مادة البولستير وبعدها يتم إنهاء باقي المراحل من لصق وتنضيد ونقل....¹

رغم عدم توسع المصادر في تعريف الفسيفساء إلا أنه توجد بعض التعريفات الأخرى نذكر منها على سبيل المثال التعريف التقني للفسيفساء في مفهومه العلمي والذي هو إكساء وتزيين الأرضيات بشبكة من المكعبات المربعة والمتصقة بجانب بعضها البعض من القطع الكريمة والحجر الملون والزجاج والصدف والمعادن...² فيها.

وفي بعض الأحيان المعادن الثمينة بأشكال ذات دلالات عقيدية أو طبيعية أو أشكال آدمية أو حيوانية خرافية كانت أو حقيقية وذلك بأشكال زخرفية مختلفة، ومن ثم تطور الأمر في استخدامها في تزيين الجدران والقباب والمحاريب والسطوح والحنيات إلى أن تطورت لتدخل ضمن منظومة التقنية الفنية للفسيفساء كافة الزخارف المتعددة والتشكيلات المتنوعة فوق المواد المختلفة بأساليب التعشيق- الترتيل- التكفيت- التزجيج- التصفيح وغيرها، وعليه تندرج جميع هذه الأمور من التعابير المختلفة ضمن إطار واحد مشترك وهو التدرج التقني لتنظيم عناصر من مواد متعددة على سطح ما سواء مائل أو كروي من المواد المذكورة وبالنسبة للمكعبات المستخدمة فهي عبارة عن قطع متساوية الاضلاع إلا أنها تختلف من حيث الحجم بين لوحة وأخرى ومكان وآخر، ومرحلة زمنية وأخرى.³

¹د.محمد عزيز شكري، الموسوعة العربية، ص 539.

²حمادة الوزان، الفسيفساء، ص 05.

³حمادة الوزان، المرجع نفسه، ص 06.

ومن بين التعاريف يجد أيضا ان الفسيفساء قد عرفت على انها لوحات مختلفة الحجم، تشكل أرضيات أو لوحات جدارية في البيوت والمعابد والقصور والكنائس والـوامع كما ذكرنا سابقا، وهي تتشكل عن طريق رصف قطع صغيرة من مواد مختلفة كالـرانيت والـزف وغيرها من الـواد في تناسق بديع جنبا إلى جنب لتؤلف لوحات تستخدم في إكساء واجهات المباني أو أعمال الزخرفة الداخلية والـارجية والأرضيات.

ولعل من أهم الـوادا ثابت ألوانا وأشكالها كوا مبنية من مواد طبيعية، وتعد من أهم مواد البناء المستخدمة في زخرفة وتزيين المباني.¹



حجارة ثمينة

صورة رقم 1

¹موسى ديب الخوري، الفسيفساء فن عريق ومتجدد، مطبعة ماجد الزهر، د. مكان، د. تاريخ، ص 14.



حجارة ملونة

صورة رقم 02

إنه فن التلاحم والتشابك بـ قطع صغيرة الحجم، حيث تشكل صوار تنبعث حية جميلة من تراصف بسيط ... لقد استطاع الفنان رغم أدواته البسيطة وقدرته الإلاق أن يترجم فلسفات حضارية كاملة في ألوان متعددة وذلك عبر قطع مكعبة الشكل لا يتعدى حجمها السنتيمتر الواحد من الزجاج، أو الرخام أو القرميد أو البلور، أو أية مواد أخرى ثابتة اللون وقابلة للصقل والقطع.¹

إضافة إلى التعريفات السابقة قد ما يلي: أن فن الفسيفساء يعتبر واحدا من الفنون التي تركز وتعتمد على جميع قطع من البلاط والزجاج والرخام بأحجام مختلفة وألوان مختلفة من أجل تكوين تصميم متكامل، وقد عرف هذا الفن منذ قديم الزمان، ويرجع العديد من الباحثين كلمة فسيفساء في اللغة العربية إلى الأصل اليوناني (PSEPHOS) التي تعني الحجر الصغير أو الحصى، حيث أن الفسيفساء المبكرة صنعت من هذه المادة، والفسفس هو البيت المصنوع بالفسيفساء، والفسيفساء قطع صغيرة من الرخام أو الحصى أو الرز أو نحوها تضم بعضها إلى بعض فيكون منها صور ورسوم، تزين أرض البيت وجدرانه.²

¹ موسى ديب الخوري، الفسيفساء فن عريق ومتجدد، ص 15.

² د. إبراهيم بظاظا وآخرون، صيانة وحماية الفسيفساء دراسة في الساحة المستدامة، ص 19.

الزواييك كلمة أعجمية تقابلها في اللغة العربية لفظة فسيفساء ونحن نستخدم وتداول الكلمة □ معاً عند الإشارة إلى هذا الفن، وإن كانت كلمة فسيفساء العربية هي الأحسن في الدلالة على فن يقوم بالأساس على □ ميع قطع منفردة وبديعة، ومن هنا فإن استخدام كلمة "الفسيفساء" هنا للتعبير عن هذه التقنية.¹

تتلخص تقنية الزواييك من □ ميع قطع صغيرة من الزجاج الملون أو من الأحجار أو غيرها وترتيبها بجوار بعضها البعض في نسق مع □ وثبت الأحجار هذه القطع بطريقة تعمل على □ اسكها، وبذلك □ كن تبسيط التصميمات □ اما، ويتم فيها التأكيد على □ ظاهر ثنائي الأبعاد وتصاغ □ ساحات □ لونة الكبيرة بعناية كبيرة، وهكذا تشترط في التصميم استعمال الوحدات □ سطحة، □ كدة با □ طوط □ يطة □ ددة وفي أغلبية أعمال الفسيفساء التي تغطي الأرضيات و □ دران ترصف □ مكعباً أفقية، بينما في القباب تظهر □ كعبات □ بروز.²

وقد تنوعت وتعددت أمثلة اللوحات □ دارية بهذه التقنية منذ ظهورها وانتشارها، حينما قام الناس منذ 2000 سنة على الأقل برسم أشكال وصور بقطع صغيرة من الأحجار □ لونة وهو ما أطلق عليه "فسيفساء" وكان قد عثر في بلاد ما □ النهرين على استعمالات لتقنية الزواييك في تكسية □ وائط، ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ.³

أما عن الفسيفساء في الفن الإسلامي فتعتبر من الفنون □ ميلة التي ساهمت في بريق وتألّق الفن الإسلامي، فقد زينت الفسيفساء □ دارية □ لونة كثيراً من العماائر الإسلامية.⁴

¹ د. بركات سعيد محمد، الفن الجداري الخامة، الغرض، الموضوعات، ط1، القاهرة، 1428هـ-2008م، ص 64.

² د. بركات سعيد محمد، الفن الجداري الخامة، الغرض، الموضوعات، ص 64.

³ د. بركات سعيد محمد، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ حلا الصابوني، د. علي السرميني، ملخص الفن الإسلامي في المشرق العربي منذ نشأته حتى القرن العاشر ميلادي في نماذج من الفنون الجدارية (فسيفساء وتصوير جداري)، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثاني، 2009، ص 609.

والإدير بالذكر أن الفسيفساء تعددت من حيث الأنواع والاسميات وهذا يرجع إلى حجم الكعبات المستخدمة في العمل، حيث انتشرت بسرعة كبيرة في حوض المتوسط وذلك على شكل ثلاثة أساليب مختلفة:

1. فسيفساء الكبيات المختلفة الحجم والأشكال.
2. فسيفساء الكبيات الصغيرة (OPUS KERNICULATUM) وهي قطع صغيرة منمقة، لكن غالبا غير منحوتة بدقة.
3. فسيفساء الكعبات يحصر المعنى (OPUS TESSELLATUM) وهي حجارة مكعبة الشكل طول ضلعها 1 سم تقريبا، كان الفنان ينحتها من الحجارة الملونة بدقة ومهارة.¹



زجاج

صورة رقم 03: فسيفساء المكعبات الصغيرة OPUS VERNICULATUM.

لقد وجدت هذه التنوعات المختلفة في الشرق الأدنى والشرق السوري ماصة، ويعود تاريخها إلى عدة قرون قبل الميلاد لكن هذا لا تزال قليلة نسبيا، ونشير إلى زوج رائع من فسيفساء الكبيات التي وجدت في طرسوس (في تركيا حاليا) وهي من القرن الثالث قبل الميلاد، لكن فسيفساء تبليط الأرضيات

¹ موسى ديب الخوري، الفسيفساء فن عريق ومتجدد، ص 22.

بالكعبات التي ترجع إلى العصر الروماني ثم البيزنطي (أي خلال القرون الميلادية الأولى) مثبتة في معظم مناطق الشرق اليوم، ومع توالي الاكتشافات خلال السنوات الأخيرة يتضح لنا بشكل جلي أن تقنيات الفسيفساء هذه كانت منتشرة في كامل الأراضي السورية.¹

¹موسى ديب الخوري، الفسيفساء فن عريق و متجدد، ص 23.

المبحث الثاني: تاريخه وتطوره

اعتبرت الفسيفساء أو ما يطلق عليه بالموزاييك صناعة فنية ابتكرت من طرف الإنسان بغرض تحميل وتحسين مسكنه أو الأماكن التي قد يتواجد بها، كما أنه من الممكن أن يكون لها دور آخر إضافي والمتمثل في العزل عن الرطوبة والتخفيف منها، وفي مرحلة لاحقة لم يقتصر الأمر فقط على تبليط الأرضيات بل أبدع الفنانون في نسج الابتكارات الفنية، وهذا معناه أنه أخذ يعتمد في ترجمة ذلك من خلال اللوحات الفنية وخاصة الرسوم الجدارية التي تناولت مواضيع متنوعة حسب المفاهيم المتداولة في كل عصر أو مرحلة تاريخية وقبل أن يرقى إلى صناعة الفسيفساء.¹

مر فن الموزاييك كباقي الفنون بمراحل تاريخية طويلة في العالم القديم *Antiquité*، امتدت ما بين العصر الحجري الوسيط إلى غاية عصر الإمبراطورية البيزنطية، لكنه اندثر من القرن الخامس عشر ميلادي إلى أن استعاد هذا الفن نشاطه وحيويته في القرن التاسع عشر ميلادي ومع مطلع القرن العشرين على يد العديد من المدارس الفنية ولأفرادهم. هذا الفن يتميز² فقد كانت الفسيفساء في أولى مراحلها في أشكال بسيطة تركز على الزخارف الهندسية أو النباتية ذات اللون الأسود والأبيض، ثم تعددت الألوان وصارت الفسيفساء تقدم لوحات مستوحاة من الأساطير التي لها علاقة بالعبودات والأبطال مثل: باخوس معبود الأمر، كما مثلت كذلك الجوانب الهامة من الحياة اليومية للسكان وتعكس أشغالهم كالزراعة والصيد والألعاب الرياضية والمصارعات إلى غير ذلك.³

¹ حمادة الوزان، الفسيفساء، ص 08.

² د. إبراهيم بظاظو وآخرون، صيانة وحماية الفسيفساء دراسة في الساحة المستدامة، ص 20.

³ عمائرية نور الهدى، زيول فاطمة الزهراء، المعبودات من خلال الفسيفساء الرومانية في شمال إفريقيا، ص 15.

تلت بداية الفسيفساء في استخدام مواد مصنعة كالأجر المشوي أو الطابوق* وهذا ما دل عليه من خلال المكتشف الأثري في الوركاء (أوروك*)¹ والمتضمن واجهة سومرية طولها يزيد عن الثمانين قدماً، ونهايتها الظاهرة ملونة بالأسود والأبيض والأحمر حيث تشكل نموذجاً هندسياً من مثلثات ومعينات وخطوط متعرجة، حيث يعود هذا الاكتشاف إلى نهاية الألف الرابع قبل الميلاد.¹

كما ظهرت الفسيفساء في بداياتها عبارة عن منحوتات متنوعة من الأصناف والحجارة والعاج التي كانت تكتب على سطح خشبي مغطى بالكتل الحجرية الملونة، وطورت هذه الطريقة إلى وضع قطع من الطين في قوالب حتى تجف ثم تشوى بالنار ويتم رصفها جنباً إلى جنب لتكون مناظر مختلفة الموضوعات.²

ولقد طور الإنسان تقنيات الرسم والتلوين وفن الزخرفة والتعبير الجمالي وذلك مع تطور حياته المستقرة واختراع العديد من الأدوات والصناعات التي جعلت حياته أكثر راحة وأماناً، ومع تطور المدن الأولى في الشرق الأدنى القديم من خلال الألف الرابع قبل الميلاد، كان الإنسان بصدد بناء البيوت والمعابد والقصور، وزين جدرانها وأرضياتها بالرسوم والحجارة الملونة في لوحات زخرفية جميلة.³

تمثل أولى فنون الفسيفساء المعروفة حتى اليوم، ومما لا شك فيه أن فن الفسيفساء أو ما يدعى بـ"الوزايك" انتشر منذ عصور قديمة عبر تلاحق الحضارات اليونانية والرافدية والفارسية، ثم تطور وفق أساليب محلية في حضارات مختلفة، لكنه بلغ أوجه في العصر اليوناني ثم الروماني في كامل حوض البحر الأبيض المتوسط خلال القرون القليلة السابقة للميلاد والقرون الأولى من الميلاد، وقد اقترن

* الطابوق يرجع تاريخه إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد في العراق حين وجدت آثار المباني المبنية بالطابوق في بابل وغيرها وذلك لقلة الحجر في العراق مقارنة بالشام ومصر واليمن التي اعتمدت على البناء بالحجر. يصنع الطابوق من الصلصال أو الطين أو اللبن أو الطمي، إلا أنه في العصر الحديث شاع استخدام الطابوق المصنوع من الخسنة.

* أوروك أو أورك أو أرك، مدينة سومرية تبعد عن مدينة أور 35 ميلاً، وتسمى في العراق وركاء، ظهرت بها حضارة ما قبل التاريخ حيث كان يصنع بها الفخار غير الملون على الدولاب، اخترعت بها الكتابة المسمارية.

¹ د. إبراهيم ظاظو وآخرين، صيانة وحماية الفسيفساء دراسة في السياحة المستدامة، ص 20.

² عمادية نور الهدى، زيول فاطمة الزهراء، المعبودات من خلال الفسيفساء الرومانية في شمال إفريقيا، ص 15.

³ موسى ديب الخوري، الفسيفساء فن عريق ومتجدد، ص 09.

تطور صناعة هذا الفن مع بناء الكنائس التي صورت مشاهد من الحياة المسيحية على أرضياتها
وجدرانها.¹



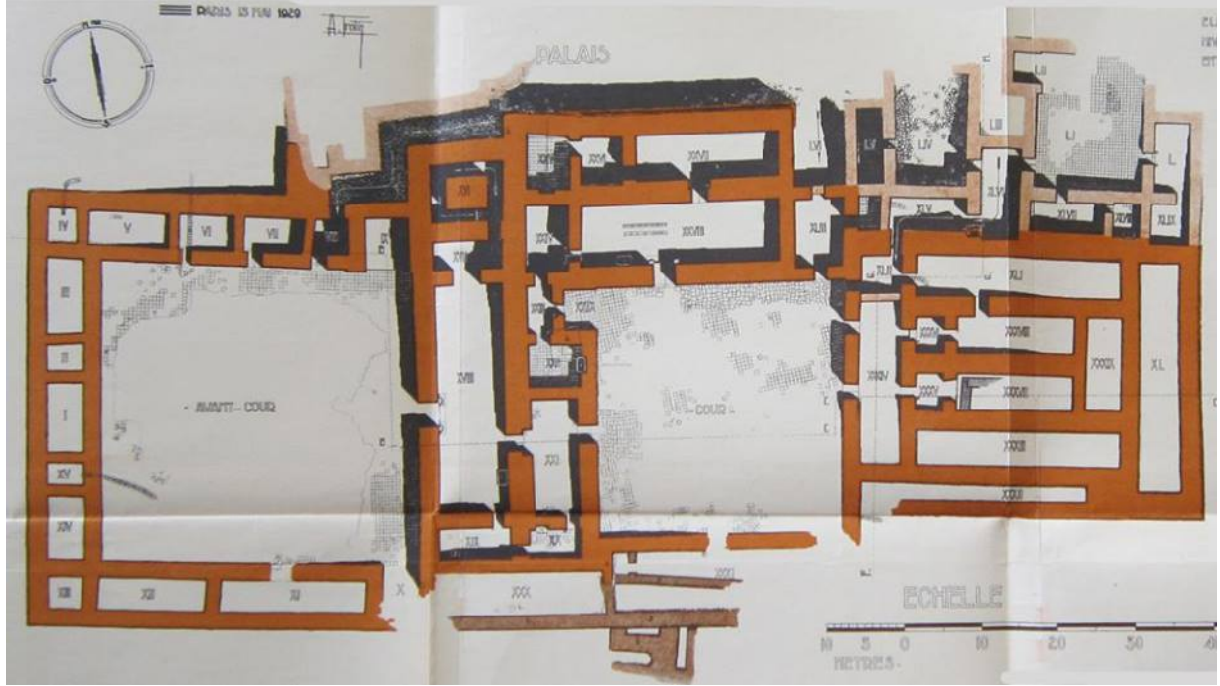
صورة رقم 04: جانب من فسيفساء كنيسة يوحنا في قرية النبعة جرابلس، شمالي شرق حلب،
وتعود إلى العصر البيزنطي في بداية القرن الخامس للميلاد.

عرفت الحجارة الصغيرة التي يصنع منها الفسيفساء في المدينة الكلدانية (أور)^{*} حوالي 2600 ق.م،
حيث تم العثور على أواني للشرب في المقبرة الملكية السومرية وهي مملأة بأشرطة زخرفية مصنوعة من
قطع صغيرة مربعة ومثلثة من مواد مختلفة كالصدف والعظم والحجر الجيري الأحمر، إضافة إلى ظهور

¹موسى ديب الخوري، المرجع نفسه، ص 09.

^{*}أور: موقع أثري لمدينة سومرية جنوب العراق، بيضاوية الشكل كانت تقع على مصب نهر الفرات في الخليج العربي،
وتقع حاليا أور على بعد كيلومترات عن مدينة جنوب العراق، ولديها الخليل إبراهيم.

العديد من الأرضيات الفسيفسائية آنذاك والمصنعة من الحصى الطبيعي في بلاد الرافدين في القصر الأشوري الخاص بأرسلان طاش في مايرا، الذي يعود إلى حوالي 2000 ق.م، وهي أول وأقدم الأرضيات الفسيفسائية التي كشف عنها حتى اليوم.¹



مخطط قصر أرسلان طاش

أصبح فن الزايك من الفنون الهامة إلا أن لم تكن فنا مبتكرا وإنما جاءت كبرهان وترجمة لفن الرسم والتصوير، وهذا يعني أن لم تتوسع وتتوغل في العالم شرقا وغربا كباقي الفنون، بل جاءت بفترة من العصر اليوناني ومن ثم الروماني، ولكن في الشرق الأوسط وخاصة في بلاد النهرين فقد اكتشف الفسيفساء في الوركاء حيث كانت جدرانها مكسوة بالفسيفساء منذ فجر التاريخ، إضافة إلى اكتشاف أسطوانات ملونة ومرصوفة مع بعضها البعض وتشكل زخرفة مسننة استخدم الآجر المستوي في صنعها بحيث لم يتجاوز قطر الواحدة منها ثلاثة سنتيمتر، واستخدم كذلك الرخام إضافة إلى الفسيفساء غير المنتظم القاييس التي تعود في صنعها إلى بلاد الفرس، كما أدخلت الفسيفساء في العمارة من طرف سكان بلاد الرافدين ثم استعمل هذا الفن من قبل الفينيقيين والاصريين والآراميين وذلك بطرق وبدائل

¹د.إبراهيم ظاظو وآخرون، صيانة وحماية الفسيفساء دراسة في الساحة المستدامة، ص 21.

تتماشى مع معتقد ام ومن ثم نقوله إلى العالم، حيث بدت روعته بشكل مبكر من العصر الكلاسيكي حيث ظهرت عدة لوحات أهمها التي كانت مثل معركة إيسوس التي دارت بين أسكندر المقدوني والملك الفارسي داريوس وبالنتيجة تطور في العصر الهلنستي والقرون التي تلتها بالخصوص في الرحلة الرومانية في حوض البحر الأبيض المتوسط¹ وبذلك تعتبر القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد العصر الذهبي للفسيفساء² حيث أن العصر الذهبي للفسيفساء الإفريقي هو نفسه بالنسبة لإفريقيا الرومانية تحت حكم أسرة الأنطون³ ANTONINS.

ولدت الفسيفساء في منتصف اليونان حيث اعتبر الإغريق السباقون في زخرفة أضياعهم بقطع فسيفائية، أين أطلق عليها تسمية مكعبات، كما استفاد الرومان بعد ذلك من هذا التراث الضخم، وقد كانت الفسيفساء الأولى التي عرفت ازدهارا في العالم الهلنستي⁴.

انتشر فن الموزايك خلال فترة الإمبراطورية الرومانية وذلك من القرن الأول حتى القرن الثالث ميلادي، وساد وامتد في جميع أنحاءها، حيث استخدمت الفسيفساء من طرف الشخصيات الرومانية الغنية وذلك من أجل زخرفة بعض الأجزاء من بيوم في منطقة حوض البحر المتوسط، إلا أن هذا الانتشار كان تدريجيا في أرجاء الإمبراطورية المتسعة حيث كان انتشارها الأول من مركز الإمبراطورية روما⁵، وفي ذات الوقت من مراكز العالم الهلنستي، وامتازت الفسيفساء الرومانية التي كانت موجودة بإيطاليا وفي أنطاكية وحتى تلك التي وجدت في أجزاء الإمبراطورية الرومانية البعيدة كشمال إفريقيا وبريطانيا بألا لم تعد مجرد نسخ مصنوعة من المكعبات الجيرية فقط بل أصبح لها لغتها ولذلوها خاص، كما امتازت الأرضيات الفسيفسائية الرومانية بسطحها المستوي والصلب، إضافة إلى تصويرها للأشكال الفنية ببعدين فقط والتخلي عن البعد الثالث، ونذكر من مميزات كذلك استخدامها المكعبات السوداء من

¹ حمادة الوزان، الفسيفساء، ص 08.

² حمادة الوزان، المرجع نفسه، ص 09.

³ عمائرية نور الهدى، زيول فاطمة، المعبودات من خلال الفسيفساء الروماني في شمال إفريقيا، ص 17.

⁴ عمائرية نور الهدى، زيول فاطمة الزهراء، المعبودات من خلال الفسيفساء الرومانية في شمال إفريقيا، ص 17.

⁵ إبراهيم ظاظو وآخرون، صيانة وحماية الفسيفساء، دراسة في الساحة المستدامة، ص 24.

أجل أثيل التصاميم بينما البيضاء خصصت لفنية العمل الفني، حيث اشتهر هذا الأسلوب في "أوستيامينا" ودام في روما إلى غاية القرن الثالث ميلادي.¹

وقد كان أول استعمال للمكعبات البيضاء والسوداء في الفسيفساء الإدارية بدينة بومي والتي يؤرخ لها قبل 79م، كما أن الفسيفساء الرومانية في إفريقيا لم تتبع تقليد الأبيض والأسود الخاص بفسيفساء إيطاليا في القرن الثاني ميلادي بل إامتازت بكوا ملونة ومفعمة بالياة، كما ساعدت هذه الأرضيات الفسيفسائية الرومانية في إفريقيا على مراقبة وتتبع التطور الكامل لفن الفسيفساء الروماني كما استمر استخدام أسلوب الصور والشعارات الذي كان قد ظهر في العصر الهلنستي ومن اتفق عليه عموما أن تغير وضع الفسيفساء بشكل جذري كان في القرن الثالث ميلادي حيث أن هذا الفن سبق وأن استخدم في العصور الإغريقية لغايات أخرى غير تغطية الأرضيات، فأصبحت بذلك جزء من زينة الهندسة المعمارية للحدائق² والنوافير الكسوة بالفسيفساء في القصور وقاعات الولايم الرفية والفارات الاصطناعية وهكذا جرى إدخال الفسيفساء بالتدرج في مجالات عديدة ومتنوعة.³

كما كانت اللوحات الفسيفسائية تبلط عموما على الأرضيات ومساحات الممرات وقاع الأحواض المائية وذلك بعد تحضير السطح المراد استغلاله لهذا النوع من الزخرفة بإزالة مختلف طبقات الأرضية.⁴

كما زينت المباني سواء العمومية منها كالمباني أو الخاصة كالفيلاات المضربة في العصور القديمة بلوحات جدارية من الفسيفساء وبالتالي أصبحت المباني تكسى بأرضيات الفسيفساء المية بإحكام وتثبت على الأرض، وبعدها اجتاحت الفسيفساء الأرضيات وتخلت عن الممرات فصارت الممرات والأقبية والمزائن تغطي بلوحات فسيفسائية ولكن عموما قد أن الفسيفساء كان أدائها بشكل جيد.⁵

جيد.⁵

¹د.إبراهيم ظاظو وآخرون، المرجع نفسه، ص25.

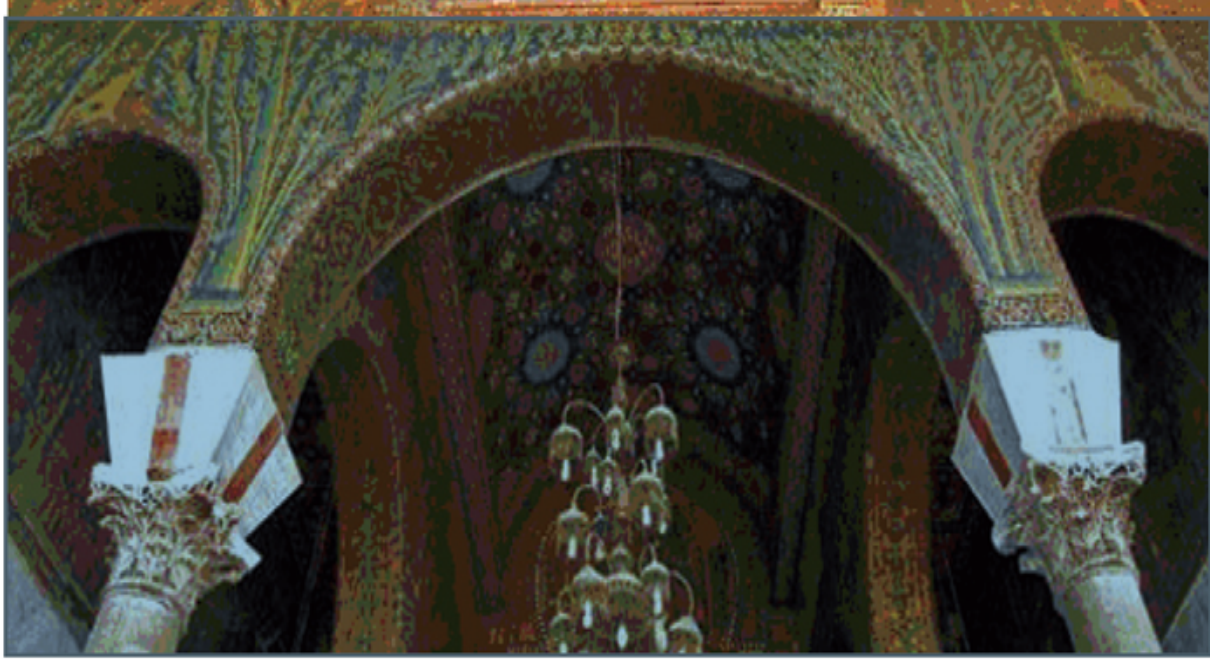
²د.إبراهيم بظاظو وآخرون، صيانة وحماية الفسيفساء دراسة في الساحة المستدامة، ص 26.

³عمارة نور الهدى، زيول فاطمة الزهراء، المعبودات من خلال الفسيفساء الرومانية في شمال إفريقيا، ص 17.

⁴عمارة نور الهدى، زيول فاطمة الزهراء، المرجع نفسه، ص 18.

⁵نفسه، ص 20.

وقد شهدت تقنيات الفسيفساء ومواضيعه تغيرات وتطورات عديدة ومتنوعة على مر القرون التالية، ومن خلال العصر الإسلامي لقي اهتماما خاص من طرف الملوك والأمراء والملفء، وبذلك زينت القصور والملء ومع زنج من فنون النحت والملء والإكساء بالفسيفساء، هذا ما خلق فنا متميزا فيه من السحر والملء ومن الصنعة ما يدهش.¹



صورة رقم 05: جانب من فسيفساء الجامع الأموي بدمشق، حيث تختلط الأشكال الهندسية مع رسوم نباتية في دقة وصنعة رائعتين

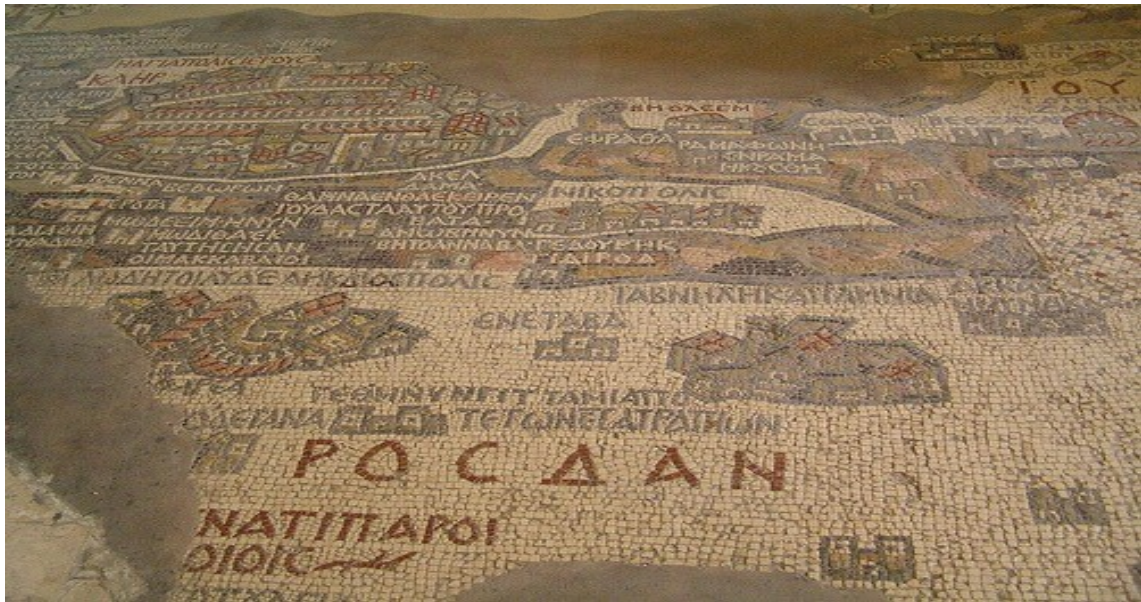
كما سبق وذكرنا أن الفسيفساء عرفت منذ عهد مبكر وقد وصلت إلى درجة عالية من المودة والإتقان في أاية القرن الثالث قبل الميلاد في أنحاء العالم الهلنستي، ولعل أن أقدم فسيفساء وجدت في اليونان فقد كانت في مدينة أولينثوس وذلك في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد، كما وجدت أمثلة في ألبانيا وسوريا ومقدونيا.² وقد مثلت فسيفساء بلاد الإغريق مرحلة انتقالية وسطية بين الفسيفساء الإغريقية المبكرة والفسيفساء الهيلينية، حيث أأ مؤرخة من أاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد

¹ موسي ديب الخوري، الفسيفساء فن عريق ومتجدد، ص 10

² د. إيناس مهدي، جامعة بابل العراق، كلية الفنون الجميلة، قسم التربية الفنية، ص 1

وقد امتازت بكوا أقدم فسيفساء معروفة لدينا وهي موقعة من قبل الفنان، إضافة إلى استخدام قشور صغيرة من الرصاص لتحديد بعض الموط الأرجية للأشكال الصورة، ويظهر التطور في استخدام الكعبات المنتظمة والمشذبة من الفسيفساء ما وجد في جزيرة صقلية والتي تسمى "سيرأهر لاند" في أحد أراضيات البيوت وتعود إلى (250-260) قبل الميلاد والتي اعتبرت تاريخ بداية تقطيع الحجر إلى مكعبات مشذبة بغرض صناعة الفسيفساء.¹

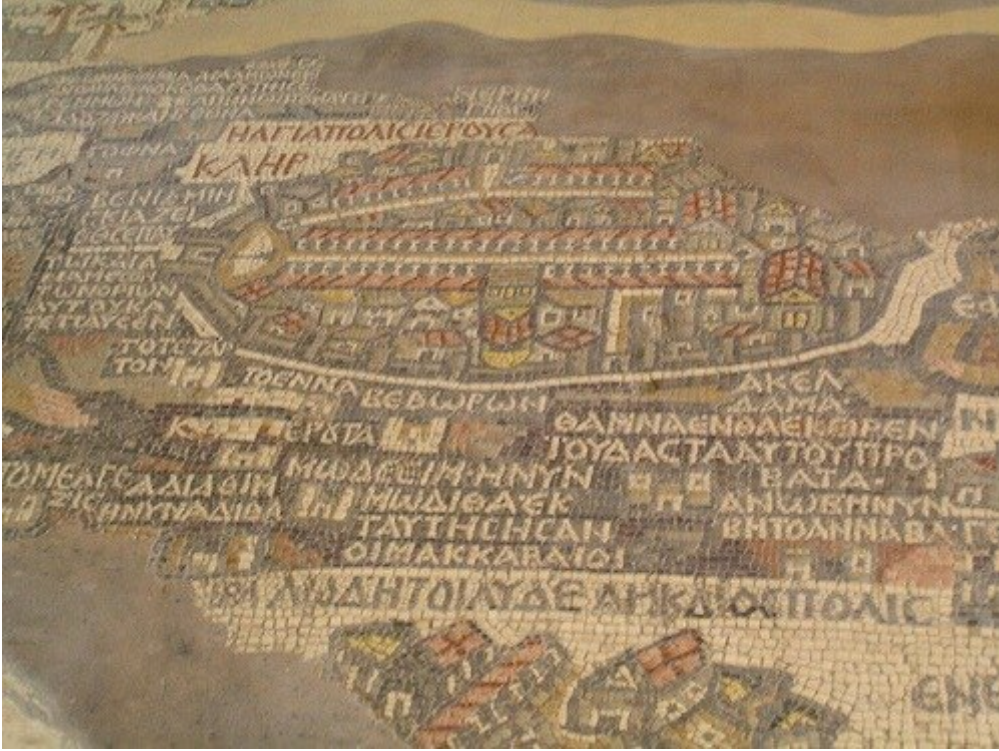
وفي أوائل القرن الثاني قبل الميلاد كانت تقنية صناعة الفسيفساء في تطور وذلك من حيث إنتاج الكعبات بأحجام وأشكال متماثلة تقريبا وكانت مقطوعة من مواد صلبة ومرصوفة بجانب بعضها البعض بشكل أملس وتذكر من منزل أليزيت بتدرج الألوان المتعددة، وبالرغم من تطور وازدهار الأردن خلال العصر الهيلينستي، إلا أن ما العثور عليه مكن أراضيات فسيفسائية نادر جدا. حيث الكشف عن جزء باق من الأرضية الفسيفسائية وذلك في قصر هيرودوس الكبير في مكاور جنوب مدينة مادبا.²



صورة رقم 06: فسيفساء من قلعة مكاور

¹د.إبراهيم بظاظو وآخرون، صيانة وحماية الفسيفساء دراسة في السياحة المستدامة، ص 23.

²د.إبراهيم بظاظو وآخرون، المرجع نفسه، ص 24.



صورة رقم 07: فسيفساء مكاور

بعد ذلك ظهرت الفسيفساء الرومانية التي كما أشرنا سابقا بدأ انتشارها في كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية من القرن الأول إلى القرن الثالث ميلادي وقد كان الانتشار تدريجياً ثم إلى سوريا وحوض البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا وفرنسا وذلك ما بين القرنين الأول والثالث ميلادي.¹ وبعد ذلك شاع استعمال الموزايك وباقي صوص في الدولة البيزنطية أين تتواجد أمثلة عديدة و متنوعة على ذلك في منطقة بلاد الشام وروما وغيرها من الأقاليم التابعة لنفوذ الدولة البيزنطية.²

بالنسبة لبلاد الشام فقد اكتشف عدد كبير من اللوحات الفسيفسائية الملية في العديد من المدن نذكر منها: ماري، شهباء، السويداء، تدمر، حماة، حلب وقد نقل بعض هذه اللوحات إلى المتاحف العالمية والملية، أين توجد أكبر لوحة فسيفساء في العالم في متحف طيبة الإمام في سوريا، وفي ترميم ما بقي من هذه اللوحات والحفاظ عليها لتبقى شاهداً على عظمة الفنون وعظمة حضارة هذه البلاد.³

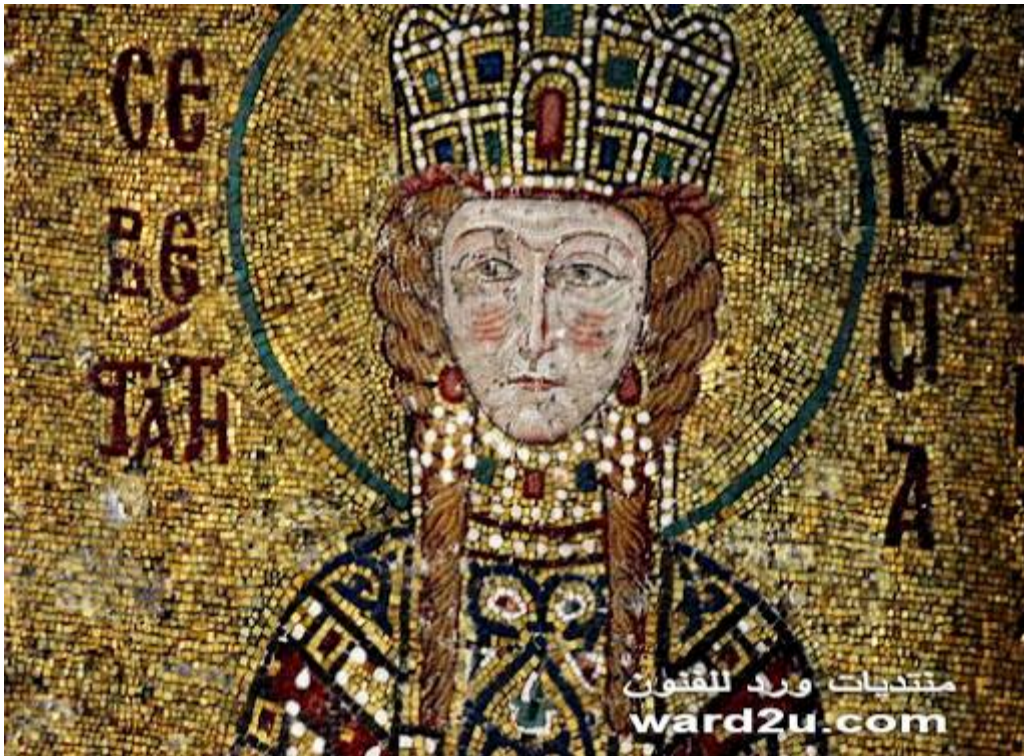
¹ د. إيناس مهدي، جامعة بابل العراق، كلية الفنون الجميلة، قسم التربية الفنية، ص 01.

² المرجع نفسه، ص 02.

³ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

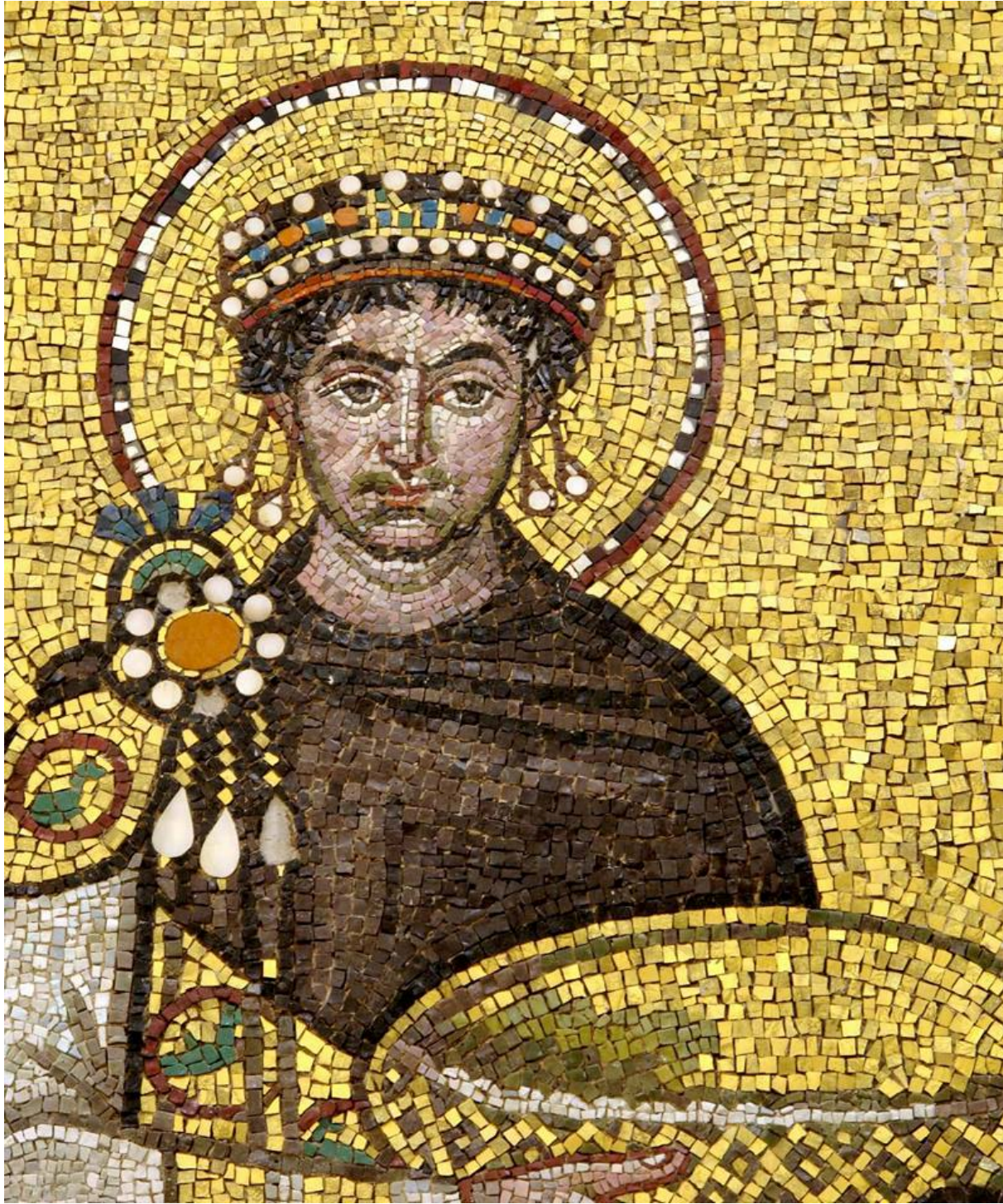
اعتبرت الفسيفساء حرفة من أرقى الفنون في بلاد الشام، فقد كان السوريون القدامى يستعملون الألوان الواضحة النسقة، كما أدخل البيزنطيون اللون الذهبي والأزرق، ولقد شيع استخدام فن الفسيفساء في الفترة البيزنطية في زخرفة الكنائس من الداخل وذلك بسبب ملائمة هذا الفن وإمكانية تغطية المساحات الواسعة داخل الكنائس إضافة إلى تزيين الأرضيات والأسقف وإدراج بلوحات فسيفسائية وكذا استخدمت في تغطية منطقة الهيكل وإضاءة التي تعد أهم أجزاء الكنيسة.¹

اتخذ فنانون العصر البيزنطي الفسيفساء الوسيلة الهامة للتعبير عن معتقدات جديدة المناهضة للديانات والمعتقدات الوثنية القديمة ولعل خير مثال على ذلك هو ما تم تصويره وما ظهر في كاتدرائية القديسة صوفيا في القسطنطينية وفي اللوحة الشهيرة في كنيسة القديس "فيتال" مدينة رافينا حيث أن الأولى صورت الإمبراطور في ثيابه الرسمية محاط برجال الكنيسة وبحرسه الخاص أما الثانية فتصور الإمبراطورة "تيودورا" زوجة الإمبراطور "جستنيان" بثياب فاخرة بفسيفساء النساء البلاط، وبذلك اعتبر فن الفسيفساء رمزاً من رموز الحضارة.²



¹ د. إيناس مهدي، جامعة بابل العراق، كلية الفنون الجميلة، قسم التربية الفنية، ص 2
² د. إيناس مهدي، المرجع نفسه، قسم التربية الفنية، الصفحة نفسها

صورة رقم 08: لوحة فسيفساء من كنيسة آيا صوفيا



صورة رقم 09: فسيفساء الإمبراطور جستينيان

من الهم التمييز بـ [] فترتين عند دراسة الفسيفساء البيزنطية الأولى امتدت من القرن الرابع وحتى القرن السابع ميلادي أما الثانية فامتدت من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر ميلادي وبـ [] الرحلة [] تقع الفترة [] معروفة بحرب الأيقونات (711-842م)، فقد شهدت الإمبراطورية البيزنطية موجة منتظمة في بناء الكنائس في الأجزاء الغربية منها، وعاصمتها روما والشرقية عاصمتها القسطنطينية وما يتبعها من مناطق كبلاد الشام.¹

و[] أن بلاد الشام عموما وسوريا خصوصا كانت ولا تزال مهدا ومنطلقا للحضارات عبر التاريخ فمن الفروض أن تكون قد لعبت دورا مهما في استخدام وتطوير الفسيفساء، كما أنه من المفترض أيضا أن تكون صاحبة الصدارة في هذا وخاصة منذ العصر الهلنستي في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وما تبعه من عهود، فمن الفسيفساء تطور فوق الأرض السورية بشكل يتماشى منهجيا مع جميع منحي الحياة وذلك خلال عدة قرون حيث أنه لم يتوقف [] مجرد اية العصر البيزنطي بأ[]صوص في السنوات العشر الأوائل منه، فأينما تتم []فريات الأثرية يتم الكشف عن مبتكرات جديدة خاصة ذا الفن وإن تركزت هذه الأخيرة في البداية في كل من []واقع التالية: شها-مرام[]-أنطاكيا وغيرها. إلا أن الاكتشافات []أديثة التي مست معظم []الواقع الأثرية في سوريا والتي تعرف بـ []الناس []واقع العصور الكلاسيكية وبشكل خاص من الكنائس والكاتدرائيات² جعلت من سوريا حتى حاليا واحدة من أكثر وأغنى الأقاليم لدراسة الفسيفساء القديمة³.

تقسيم فن الفسيفساء إلى أربعة مراحل أو فترات رئيسية وذلك حسب []ناهج التقنية التي ظهر من خلالها وتتمثل هذه []راحل فيما يلي:

أولا: []رحلة الأولى منذ الأصول وحتى القرن الثالث بعد الميلاد أي بدايات العهد البيزنطي أو التاريخ الروماني الشرقي وما ميز هذه الفترة استعمال الاختراعات والابتكارات التي تركزت على []يثولوجيا

¹د. إبراهيم بظاظو وآخرين، صيانة وحماية الفسيفساء دراسة في السياحة المستدامة، ص 29.

²حمادة الوزان، الفسيفساء، ص 9.

³حمادة الوزان، المرجع نفسه، ص 10.

اليونانية أو الرومانية أو الشرقية¹ عنونت هذه الفترة بفترة التوى التقليدي وللأسف لم يتم الكشف حتى الآن عن الشيء الكثير من فسيفساء بداية هذه المرحلة لعدة أسباب لعل أهمها أن معظم المدن والواقع التي تعود لتلك الفترة استمر فيها السكن عبر جميع المراحل التاريخية والضرورية بالرغم من شهدته من تبدلات وتقلبات نتيجة الكوارث الطبيعية أو التغيرات التي جرت بفعل الإنسان إما نتيجة الحروب أو الإصلاح والتجديد والتوسع والعوامل الجوية من زلازل وهزات أرضية أو التوسع في المدن أو الأبنية نفسها، وأهم ما يميز به الفسيفساء في البداية هو بساطة البواعث والديكور والألوان إضافة إلى الاعتماد على الأسلوب الهندسي باستخدام المربعات والمستطيلات والمثلثات، واستعمال الألوان الدودة ثنائية أو ثلاثية أو رباعية فوق عمق أبيض، وقد اندرج ذلك ضمن ط سمي باسم: الفسيفساء².

مع مطلع الميلاد بدأ ظهور مذاق وطعم الفسيفساء متعدد الألوان في صور مستوحاة من النماذج التصويرية المندمجة ضمن إطار هندسي، أما بالنسبة للأفكار فكانت مأخوذة من فهرس الميثولوجيا التقليدي والبواعث الهندسية التي امتازت بالبساطة ثم تطورت، ومن الأدلة الدالة على براعة الفنان السوري في تطوير فن الفسيفساء استعماله التدرج في اللون والضوء ورسم الصور والتغير في الحركة وشدة وقوة النظرات ذات المعنى، كما كان اعتبار أن الزوج الفسيفساء الذي الكشف عنه في مبنى "التريكلينيوم" في مدينة أفاميا من خلال سجادة كبيرة بسيطة الديكور هو أول زوج لفن الفسيفساء المنطلق من الباعث والغزى الهندسي ويوضح الألوان الأربعة المنفذة فوق العمق الأبيض، وهذا النمط العائد إلى فترة زمنية مبكرة اندمج ضمن أسلوب الفسيفساء السجادي الدد الألوان والمادة وذو النمط الهندسي في الديكور والتزيين³.

مع مجيء القرن الثاني للميلاد شهدت سوريا مرحلة ازدهار عمراني وفني ملحوظ وهذا ما انعكس على الفسيفساء وساهم في انتشاره وتوسعته في كافة مدا ومن أهم ما امتاز به الفسيفساء في هذه الفترة:

¹ حمادة الوزان، الفسيفساء، ص 100.

² المرجع نفسه، ص 11.

³ المرجع نفسه، ص 126.

- ظهور مذاق وطعم الفسيفساء متعدد الألوان.
- استعمال الإطارات ذات الصور والأشكال المتحركة.

ولما أن المعتقدات الدينية عند السكان كانت وثنية فإننا نجد أن الأشكال التي استعملها الفنانون في تلك الفترة كانت مستوحاة من أساطير تعتمد على التقليد الهلينستي السابق.¹

وإذا حاولنا وضع هذا الأمر ضمن محتواه التاريخي والمضاري من خلال مسار الحياة السياسية التي اندرجت في هذه الفترة لوجدنا أنفسنا ندرج هذا الأمر في خطوطه العريضة ضمن تطور الفن الروماني خاصة ما يتعلق بالأساطير العامة والألوان.²

كما لا يمكننا إنكار وجود الانقطاع أو هجر التقليد الكلاسيكي كلياً في بعض المناطق أو جزئياً في مناطق أخرى، كما لا بد من التفريق بين المستوى المضاري الذي كانت تعيشه سوريا ومنطقة شمال إفريقيا عما كانت تعيشه القارة الأوروبية، لأن جميع هذه الأمور كانت مهمة وتتخذ بعين الاعتبار وهذا المناخ كان مهدياً للمرحلة اللاحقة.

ثانياً: فترة التحول والانتقال: شملت هذه الفترة القرن الرابع للميلاد تقريباً وفي هذه الفترة شهدت سوريا من التحولات وأهمها انقسام الإمبراطورية إلى قسمين³ وفي هذه المرحلة نشهد اندماج المدن التي تطور فيها الفسيفساء وفي مدن وادي النيل على رأسها الإسكندرية وغرباً منطقة جبل الأخضر في ليبيا نظراً للتشابه الطبيعي والمضاري والفني مع منطقة القوس الكلسي في سوريا، وظهر ذلك جلياً في المدن المسماة "البتتبول" التي عرفت باسم ولاية برقة، حيث برز الفسيفساء كترجمة صادقة للفن في سوريا وظهر ذلك في مدينة "سيرين" (شحات حالياً) وطلميثة وقصر ليبيا وأبولونيا (سوسة حالياً).⁴

¹ حمادة الوزان ، الفسيفساء ، ص 13.

² المرجع نفسه، ص 13.

³ المرجع نفسه، ص 17.

⁴ المرجع نفسه، ص 18.

وبالنسبة للمسافات الجغرافية لم تشكل عائقاً في إحداث فجوة أو انقطاع عن التأثير المتبادل لهذا الفن، لذلك قدده واضحا في المدن الثلاثة الغربية من ليبيا "تريبولي" وهي البد الكبرى وأويا (طرابلس حاليا) وصبراتة وفي تونس كذلك قد الفسيفساء في مدن "سبيلة" و"دوقا" و"شمتو" و"قرطاج" وغيرها، وبالانتقال غربا إلى الجزائر قد التجربة مكررة في مدينة هبون الملكية المعروفة حاليا بـ (عنابة) وجميلة، وتيمقاد وتيبسا، شرشال وتيبازة وباستعراض اللوحات الفسيفسائية ضمن التوى الجغرافي والتاريخي قد أن الفسيفساء السورية كانت على قمة الهرم، فقد كانت منطلق إلهام الفنان البدء لهذا الفن.¹



صورة رقم 10: فسيفساء قرطاجية من أحد متاحف تونس.

من الأساليب الفنية التي امتاز بها فن الفسيفساء في هذه المرحلة التفنن في إظهار التزيينات النباتية كالأغصان والزخارف النباتية الملتفة كالدوائر فوق عمق أسود جاء على شكل إطار في لوحة

¹ حمادة الوزان، الفسيفساء، ص 18.

الفسيفساء والمعروفة بفسيفساء الزقراق أو رسول الغيث والتي نفذت مدينة "فليبوبولس" وقد غابت عن هذا النمط الأساليب القديمة العائدة إلى القرن الثالث¹

ولعل الشيء الموهري في هذا الأسلوب المديد هو غياب المشاهد التي كانت تثير الشاعر والعواطف في نفس الفنان أكثر مما تثيرها عند المشاهد².

ثالثاً: المرحلة الثالثة: من بداية القرن الخامس ميلادي إلى غاية بداية الفتوحات الإسلامية، في هذه المرحلة انقلبت المفاهيم رأساً على عقب أي الانتقال من المفاهيم الوثنية إلى عقيدة ذات ديانة سماوية وهذا الأمر لم يغير فقط المفاهيم وإنما غير الإستراتيجية الهندسية المعمارية حيث إلغاء الكثير من المفاهيم الوثنية إلى عقيدة ذات ديانة سماوية وهذا الأمر لم يغير فقط المفاهيم وإنما الاستراتيجيات الهندسية المعمارية حيث إلغاء الكثير الأبنية كالمعابد، كما ميزت هذه المرحلة بسهولة معرفة التسلسل التاريخي من خلال الكتابات ومادة الصنع³ وشهدت هذه الفترة انطلاقة رائعة للمناهج ذات الفهرس الهندسي المتألق في أاية القرن الرابع والذي دخل عالم اللوحة التشخيصية من الداخل والهجر الكلي للمفاهيم التولوجية كما غزى في هذه الفترة أسلوب قوس قزح ليشمل كامل مسطحات السماء الفسيفسائية الذي أخذ يتطور منذ منتصف القرن الرابع ثم تأصل وتوضح بشكل بليغ في عهد الإمبراطور "ثيودور"⁴.

في هذه المرحلة اختلف العرض الحيواني في مشاهد الفسيفساء مثل الدب والكلب والأسماك والطيور مع الزهريات وقد دخلت هذه العروض ضمن مشاهد الحياة اليومية، وزمن الواضع الملفتة للانتباه تواجد

¹ حمادة الوزان، الفسيفساء، ص 19.

² المرجع نفسه، ص 20.

³ المرجع نفسه، ص 28.

⁴ المرجع نفسه، ص 29.

الأغنام محيطة بشجر النخيل¹ كما نفذ أسلوب الشكل الهندسي الثمن التطور والدوائر والمستطيلات والتربيع المنحرف والزين بأشكال زهرية.²

تطور في هذه الفترة أسلوب الفسيفساء النيلي الذي نجده واضحاً في مبنى "ديرفريكية" عام 511م، وجناح كنيسة حواش عام 516م.³

كما عرفت هذه المرحلة توافق بين الرسم والتنفيذ في المسالك المتبعة في الطوط من مربعات ومكعبات شاقولية وأفقية وعمودية ومنحرفة وقد تطلب الأمر نسج الأشكال الكبرى فوق النقاط وتعاقب التخطيط والتلوين وبذلك حصل العمل الفسيفسائي على استقلالية مطالعة مع التأكيد على البراعة في العمل ومن هنا أصبح بالإمكان الحديث عن فن حقيقي يمكن من خلاله إلقاء الضوء على الأشكال التشخيصية والأشياء الممزوجة المنفذة بشكل حقيقي في مكعبات دقيقة، وقد أصبح الديكور الهندسي هو المهيمن على الموقف فأصبحت المكعبات كبيرة تصل من 1سم إلى 1.2سم من كل جهة وأصبحت تفرش وترسم بالتوازي مع حدود اللوحة مع وجود عرض ذي مقاييس محددة ولعل فسيفساء مادبة خير نموذج لهذه الأساليب والورش.⁴

رابعاً: المرحلة الرابعة منذ بداية الإسلام وبشكل خاص العهد الأموي والعهد التالية وتعد هذه الفترة عن السلم والسيحي الذين اعتنقوا الإسلام مرحلة التحول والتبدل الأخير حيث التخلي عن المفاهيم الأيقونية أو التصوير المتعلق بالشكل الأدمي.⁵

¹ حمادة الوزان، الفسيفساء، ص 30.

² المرجع نفسه، ص 29.

³ المرجع نفسه، ص 29.

⁴ المرجع نفسه، ص 34.

⁵ حمادة الوزان، الفسيفساء، ص 4.

استوحى المسلمون استخدام الفسيفساء مباشرة من الفن المعماري الروماني والبيزنطي، بحيث أيا كانت تستعمل لزخرفة الكنائس والمباني العامة، كما أن الفسيفساء في العصر الإسلامي الأول أغلبها كانت من طرف حرفي وفنان بيزنطي¹.

ولم يكن الفتح العربي الإسلامي منطقة الشام ثابتة ضربة قاضية للفنون ومن بينها فن الفسيفساء كما كان الوضع بالنسبة للجانب السياسي، بل على العكس فقد جاء العهد الأموي كمحتوى لتطوير هذه الفنون حيث أتاح للفنان وفن الفسيفساء خصوصاً فرصاً عديدة لتطوير المناهج المتاحة، حتى أطلق على العهد الأموي "عهد التجديد النهضة الفنية"².

في هذا العهد تألق فن الفسيفساء خاصة ذات الأساليب الهندسية المنتشرة في العهود السابقة من خلال العديد من الإجازات نذكر على سبيل المثال السجادات ذات الرائعة في "خربة الفجر" ولوحة "الجنة في المسجد الأموي" بدمشق وكذا مسجد قبة الصخرة³.

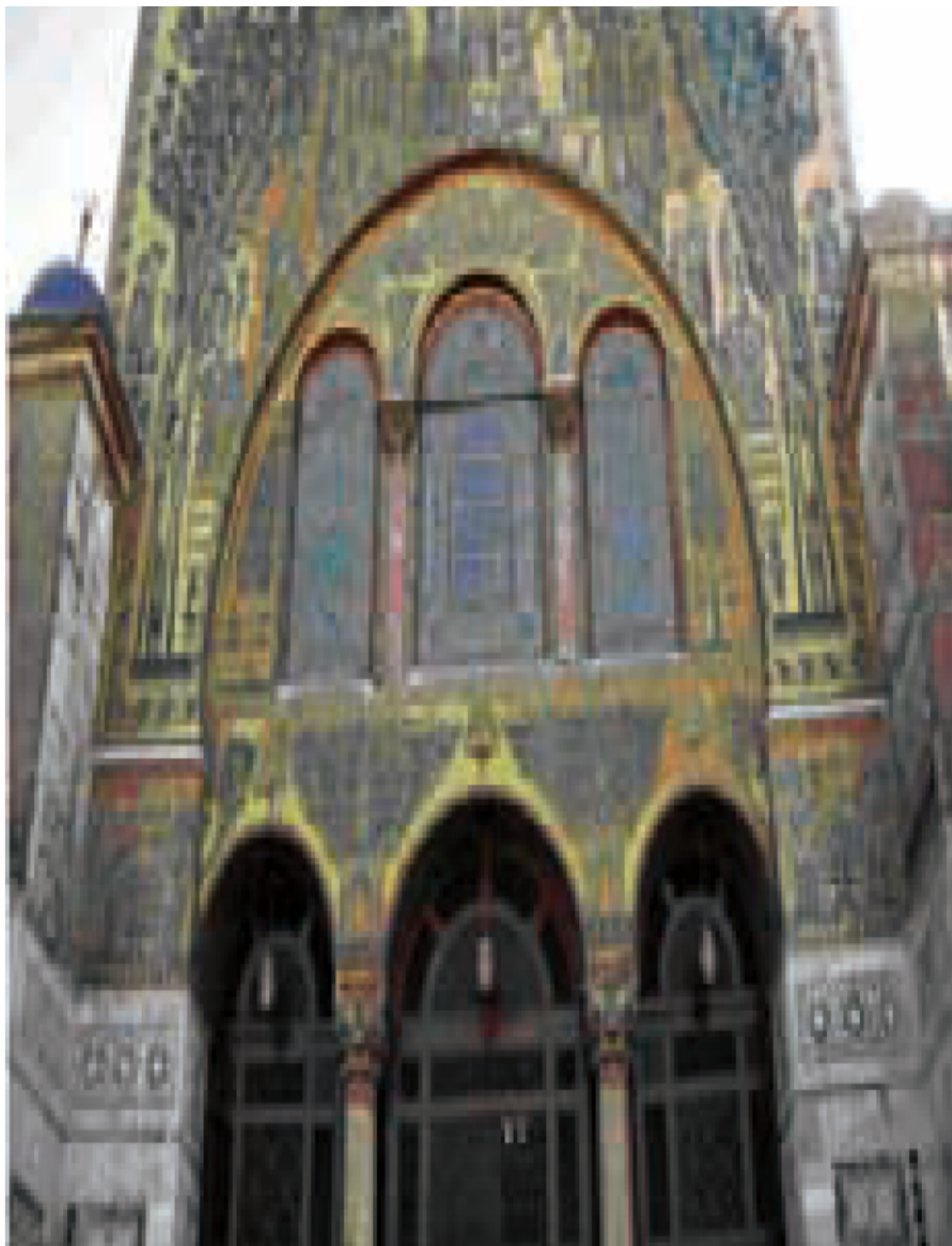
في هذا العهد وجد الأمويون المسالك والوسائل المعبرة لنظورهم الودي واحتفظوا بحرية التملك واليازة والاختيار ضمن المفهوم والنظور الإسلامي، الأمر الذي وهب فن الفسيفساء الحيوية والتجديد بعد أن نفخوا فيه روحاً وحياة جديدة مع الابتعاد عن التصوير والتشخيص الفردي، ومن خلال هذه التكرارات والإجازات الهائل للفسيفساء السوري عبر تاريخه الطويل⁴.

¹ د. إبراهيم بظاظو وآخرون، صيانة وحماية الفسيفساء، دراسة في السياحة المستدامة، ص 33.

² حمادة الوزان، الفسيفساء، ص 47.

³ المرجع نفسه، ص 48.

⁴ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.



صورة رقم 11: فسيفساء الجامع الأموي الكبير بدمشق من أجمل معالم الفن الإسلامي.

الفصل الثاني

الفسيفساء في الجزائر

تمهيد

المبحث الأول: الفسيفساء في الجزائر

المبحث الثاني: أبرز معالم

الفسيفساء في الجزائر

تمهيد:

ضمت الجزائر في فترات متلاحقة من الزمن كثيرا من الدول، أدت دورها الريادي في مجال العمارة والفنون وقدمت روائع أثرية، اتسمت بأنماط مبتكرة وأساليب مميزة عن الدول مختلفة، مما يدل على أن هناك من أسهم في تكوين ذلك الإرث الحضاري وخير دليل على ذلك الدولة الرومانية والتي كان لها أثرا بالغ بالمنطقة و تركت شواهدا التي بناها الإنسان الروماني فاصبحت جزء من هوية المجتمع كلوحات الفسيفساء التي لازالت تصارع ظروف الزمن، ومما سبق سنحاول التطرق في هذا الفصل إلى الفسيفساء في الجزائر، ثم أهم المعالم الباقية و **الوجود للمهيداء** .

المبحث الأول: الفسيفساء في الجزائر

تطور الفسيفساء في الجزائر

تمتد جذور الفنون في شمال إفريقيا إلى عصور ما قبل التاريخ حيث تبدأ أصوله انطلاقاً من مصدرين من الفن الطاسيلي، والبربري وما مرت به الجزائر قبل الفتح الإسلامي من خمس أمم عظيمة، وهم البربر السكان الأصليين للمنطقة والفينيقيون، ثم الرومان فالوندال والروم (البيزنطيون).

وأثناء الفتح الإسلامي مروا بالوجود التركي العثماني، كل هذه الأجناس والثقافات مرت بشمال إفريقيا مهد الحضارات القديمة التي أثرت تأثيراً كبيراً في الفنون والصناعات التقليدية.¹

كانت المرحلة النيوليتية في شمال إفريقيا هي الأكثر تميزاً لأنها اتسمت بتربية المواشي والفلاحة، حيث أضافت عدة طرق فنية في صناعة الخزف المزخرف.

وهكذا انتشرت هذه الصناعة إلى أن وصلت إلى منطقة الهقار، مشكلة عنصراً من عناصر الثقافة الأساسية للمجتمعات القروية في المغرب الكبير، حيث اهتموا في ذلك العصر بالزخرفة أكثر من الأشكال.²

فقد عرف الإنسان الجزائري فن التصوير وأولاه قيمة كبيرة اختلفت استخداماتها إما لأغراض سحرية لطرد الشر أو لأغراض تسجيلية يسجل بها الإنسان الأحداث اليومية التي كان يعيشها، وهذا ما جعل الجزائر تزخر بإرث ثقافي تعاقبت عليه حضارات تعكس سحر البيئة وعمقها، وأصالتها بالتراث متميزاً خالداً حتى الآن، نجده في الصناعات التقليدية والشعبية المنتشرة في أنحاء كثيرة من الوطن، كالعناصر الزخرفية البربرية المتشكلة من خطوط وأشكال هندسية، وتوشيزات وتنقيط التي بدأها على الأواني الفخارية والمصنوعات الجلدية، وخير دليل على ذلك ما تركه الرومان من معالم كثيرة تدل على وجود الفترة المسيحية في الجزائر منها كنيسة مزرعتين بمختلف أنواع الفسيفساء

¹ متاحف الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، الجزء الخامس، ص 56

² بوسدير محمد، الفن التشكيلي في الجزائر، مذكرة تخرج ماستر، قسم الفنون، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2014م-2015م، ص 7.

والنقوش الحجرية والآلة وكنيسة صغيرة، ومساكن خاصة تخدم رجال الدين، وكذا متحف يقع داخل الحديقة، ويضم عدة اكتشافات أثرية في الموقع نفسه ويجمع بعض الآثار النادرة إضافة إلى تنوع فسيفسائها المليئة بالألوان والتي تروي المواضيع الأسطورية.¹

فالفن في أي مكان وزمان ما هو إلا انعكاس للشعوب والطبيعة نفسها لها أبلغ الأثر فيه ولهذا أنشأت فكرة الفن مع حاجة الفنان إلى الاتصال والتعبير عن شعوره وإحساسه عند رؤية الجمال، وهذا ما جعل للفسيفساء الحظ الوفير لما فيها من الرقي في تصوير الطبيعة ومناظرها.²

والحقيقة أن فن الفسيفساء انتشر منذ عصور قديمة عبر تلاحق الحضارات منها الرافدية واليونانية والفارسية وقد بلغ قيمة ازدهاره خلال العصر اليوناني ثم الروماني في كامل حوض البحر الأبيض المتوسط³ والجزائر باعتبارها بوابة البحر الأبيض المتوسط فقد زحرت لوحاتها الفسيفسائية المتميزة والتي اشتهرت بها دوليا وجعلت منها معالم أثرية عرفها العالم وخلدها ومن بينه مدينة تيمقاد واحدة من أجمل المدن الأثرية في دولة الجزائر، فقد بناها الرومان سنة مئة ميلادية، وكانت تعرف "بثاموقاري"، وقد تم تصنيفها في عام 1982م كواحدة من مدن التراث العالمي، وذلك لأنها المدينة الوحيدة التي بناها الرومان والتي ما تزال محافظة على خصوصية طابعها وتصميمها الأولي بين كل مدن إفريقيا كونها مبنية بشكل مربع بتقاطعات على غرار لوحة الشطرنج كما كانت تسمى "مومباي نوميديا"، حيث بلطت الشوارع بصخور مصقولة مستطيلة كبيرة من الحجر الجيري فقد عثر في المدينة على أربعة عشر حماما، وتشتهر المنازل في تيمقاد بديكورها من الفسيفساء لتعويض نقص الرخام الثمين وتجدر الإشارة إلى أن من 263 قطعة فسيفساء عثر عليها في مدينة تيمقاد، 85 منها عثر عليها في حمامات، فإرضية الحمامات وجدرانها كانت تزخر بالفسيفساء الملونة التي صورت مشاهد من الأساطير الوثنية كلوحة فسيفساء انتصار فينوس⁴ بالإضافة إلى تيبازة المدينة الأثرية العريقة والتي تعتبر متحفا متحركا

¹ <http://www.djazairss.com>.

² عبيد قاسم، فن الفسيفساء الروماني (المناظر الطبيعية Roman mosaic)، ص 57.

³ موسى ديب الخوري، الفسيفساء، ص 9.

⁴ فسيفساء <http://tagemagazine.com>

يزاوج بـ [] مضارة والطبيعة من خلال بقايا آثار تروي حكايات [] مختلف [] مضارات القدمة لا سيما [] مضارة الرومانية¹ وأهم ما تميزت به الفسيفساء الرومانية في تبيازة هو تنوع أشكال القطع، فنجد منها: [] كعب و [] ثلث والسداسي، أما فيها يخص المواد فكانت من الأحجار والرخام والزجاج، [] زف، الأصداق، القرميد والأخشاب، أما مواضيعها فمشتقة من []ياة اليومية وعادة ما يكون قوامها بعض الأعمال مثل الصيد، []رب ومن []ياة الدينية و []ستساعة من أكبر العمال البطولية أو تلك التي لها علاقة بالحرفات الإغريقية الأصل² وكان لمتحف شرشال الجزء الأكبر من هذا التنوع، فسيفساؤه غنية بأشكالها ومناظرها والونها التي تسر الناظرين.

ومن تبيازة إلى ميلة، حيث تحتوي بلدية المشيرة بها على موقع أثري "بوخماتن" وهو واحد من أهم المواقع بالولاية، يعود تاريخه إلى العصور الغابرة وهو عبارة عن مدينة رومانية كاملة بمعابدها ودورها ومعاصر زيتونها، إذ يتربع هذا الموقع على مساحة تزيد عن ثلاثين هكتار وهو عبارة عن مدينة قديمة شيدت في العهد الروماني وكانت تعرف بـ "توفاسبرسا" الواقعة على الطريق الرابط بـ [] "سيتيفس" و "تيمقاد" ولا تزال الآثار الرومانية واقفة إلى وقتنا الحاضر رغم مرور السنين، فالموقع الأثري "بوخماتن" ما هو إلا امتداد تاريخي وحضاري لعمق واصلية المجتمع الميلي الذي يتوفر على ميزة قليلة الوجود وهو التراكم التسلسلي لمختلف الحضارات المتعاقبة على ولاية ميلة، وخير دليل على ذلك حمامات "بونينيوس" الواقعة في غرب بلدية "وادي العثمانية" والتي تحتفظ بتاريخ عريق يعود إلى الفترة الرومانية، وهي عبارة عن آثار لقصر كبير يحتوي على حمامات خاصة عشر بها على 12 نوعا من الفسيفساء [] منطقة واحدة، وهي معروضة بشكل صور حاليا []تحف "سيرتا" بقسنطينة، فالفسيفساء التي اكتشفت بها معروضة بمتحف "اللوفر" بفرنسا، وهناك نوع واحد فقط معروض بالمتحف الوطني ومتحف "سيرتا"، هذا حيث تم نقل معظم التحف والفسيفساء إلى متاحف فرنسية خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية، وتتضمن هذه الفسيفساء صور لحياة الترف والبذخ التي كان يعيشها "بونينيوس"

¹ منير بوشناطي، الضريح الملكي الموريتاني، تر: عبد الحميد حاحيات، مديرية المتاحف والآثار والمباني التاريخية، الجزائر، ص 8.

² إبرير زهرة، الفسيفساء الرومانية في الجزائر مدينة تبيازة، مذكرة تخرج ماستر، قسم الفنون، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، ص 4.

وهو رجل غني رفقة زوجته ومظاهر تعاملها مع العبيد، يضاف إليها صور له تجسد اهتمامه بالحيوانات فكانت هذه الصور تظهره مع الكثير من الحيوانات، كما كانت مشاهد الصيد أيضا حاضرة في تلك الرسوم والحياة البرية والاجتماعية ككل¹، ولا يجب أن نتجاهل متحف سطيف أفضل المتاحف في الجزائر، حيث ترغم روعته السياح على التوقف في المدينة لرؤيته بسبب معروضاته المضادة بشكل جيد ونجوم المتحف الحقيقة هم لوحات الفسيفساء في الطابق الأرضي وإحدى هذه اللوحات تمثل انتصار "فينوس" التي تعود للقرن الرابع ميلادي وفيها تجلس "فينوس" في قوقعة مغطاة بالجواهر ومحاطة بالوحوش والملائكة وغير بعيد عن سطيف نجد قسنطينة وما تزرع به من معالم وآثار تمتد عبر العديد من القرون الغابرة وأبرزها فسيفساء أمفيتريتي ونيبتون المستكشفة بقسنطينة².

ومن شرق الجزائر إلى غربها حيث يعتبر متحف "أحمد زبانه" بوهران اندماجا حيا للآثار الرومانية والإفريقية فضلا عن قطعتي فسيفساء رومانية رائعتين، كما يضم المتحف أقساما للتاريخ الطبيعي للأرض، كذلك "قصر الباي" والذي توجد به "دار البايك" والتي انحارت أجزاء كبيرة من اسقفها الأثرية التي تضم فسيفساء مختلفة كتبت عليها عبارات وآيات قرآنية وبعض العبارات التي قام "نابليون الثالث" بتحريفها وكتابة اسمه عليها³.

ومدينة شلف أحد المدن الغربية والتي كانت تسمى خلال الفترة الرومانية بـ "castelum" المدينة "كاستيلوم تيجينيتوم" و Tiginium موقعها بجاني وادي "الشليف" و"وادي تيسفاوت" في عام 1843 اكتشف بقايا كاتدرائية مسيحية بنيت خلال عهد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الكبير سنة 324 للميلاد، وتضم فسيفساء "santa" رائعة تتوسطها عبارة الكنيسة المقدسة "Eglasia" إضافة إلى فسيفساء القديس "ريباتوس"⁴ ووصولاً إلى جوهرة المغرب العربي عامة والجزائر خاصة، تلمسان أحد أهم مراكز التاريخ والآثار في الجزائر وبالأخص تراثها المعماري العربي الإسلامي وآثارها

¹ فسيفساء ميله <http://www.djazairess.com>

² فسيفساء قسنطينة <http://www.djazairess.com>

³ فسيفساء <http://www.djazairess.com>

⁴ فسيفساء كنيسة شلف www.youhiba.com

الجميلة الشاهدة على تعاقب حضارات كثيرة¹ ومن بينها "القصر السلطاني" الذي يتميز عن غيره بشكله وسعته ومحتواه، حيث كان مزينا بالرخام والفسيفساء الملونة التي تكسو قاعته وجدرانه إضافة إلى المسجد الذي بناه السلطان "أبو حمو موسى الأول" وجدد بناءه الأتراك وقد حوله الاستعمار الفرنسي إلى كنيسة وأفقدوه زخرفته فلم يبق منه إلا المئذنة التي لا لازالت تحافظ على بعض معالمه خاصة في واجهتها الجنوبية أين نجد فيها كتابات ونقوش في قطع من الفسيفساء تغشى إطارها دلالات الزخرفة الأندلسية، كما يعد "جامع سيدي بومدين" أبرز المعالم بالمدينة حيث بني عام 739 هجري، وأول ما يلفت انتباه الناظر لهذا المسجد هو الباب الذي يحتوي على قنطرة تشبه حذوة الحصان في شكلها، يحيط بها إطار بديع الحسن يتألف من خلات على شكل أوراق الأشجار وأزهارها، كما تتوي على أحجار من الفسيفساء منمقة بالألوان الأبيض والأسمر والأخضر والأصفر، كما نجد خلف الباب الجوفي صحن مربع الشكل مفروش بالفسيفساء المختلفة الألوان أما جامع سيدي الحلوي فله ثلاثة أبواب أحدها شرقي والآخر غربي والثالث هو الأعظم جوفي إطاره مغشى بالفسيفساء لا يزال يقاوم عواقي الزمن وظروف الدهر تتشابه هيباته الهندسية بأشكال زهرية مختلفة الألوان عليه خطوط منقوشة بالخط الأندلسي، إذا صعدت ست درجات في سلمه تجد نفسك على مساحة تزيد عن 107 من الأمتار المربعة مفروشة بالفسيفساء ذات ألوان مختلفة.²

المبحث الثاني: أبرز معالم الفسيفساء في الجزائر

—فسيفساء انتصار نبتون Neptune:

لوحة انتصار نبتون Triomphe de Neptune في فناء المتحف بشرشل طولها 3.20م وعرضها 0.90م (لوحة تقريبا مستطيلة).

¹ أوليم مرسية، مقتنيات متحف تلمسان، دار الثقافة، د.ط، قسنطينة، 2011م، ص 55.

² <https://elmakam.com>.

المسكن ذو الحوضين

حواف زخرفة الحوض مغطاة بإكليل من الزهور والفاكهة بعرض 35.5 سم، الجزء السفلي من الحوض الأبيض مرصع مكعبات من الزهور السوداء، وتصطف على الدران صف من مكعبات سوداء (سوى جزء صغير لا تزال واضحة فوق رأس نبتون)، كذلك خلفية زرقاء وبضاء يظهر "نبتون" في الواجهة يجلس على ذيول ملفوفة لانتين من خيول البحر التي يبدو انها يجعله يعدو بسرعة باتجاه اليسار، كما نجد أن المعبود يرتدي معطف رمادي بسيط مخطط بالأزرق والأسود منزلق على ظهره، كانت يده اليمنى تعيده نحو البطن، واليد اليسرى تعتمد على شوكة ثلاثية الأسنان مرفوعة في الهواء، أما الوجه فيحيط به عموما شعر ولحية كثيفة، وله نظرة مهيبه بحيث يحدق صوب حوريات البحر إلى اليمين حيث قدم بعض الجدية في وجهه، ويحيط برأس المعبود نبتون هالة تقديس أرجوانية ذات دائرة سوداء.¹

بالإضافة إلى أن اثنان من الخيول البحرية التي في الجزء الخلفي فقدت مشكلة في الأسود والبني الداكن مع وضوح ابيض احمر واسود، وقد ظهرت نهاية لذييل على يسار معبود البحر، وكما يمثل الجزء السفلي من الجدول مع خطوط بضاء متوجه على خلفية رمادية وزرقاء، وخطوط عمودية صغيرة ومتوازية، صادرة عن مكعبات بضاء وزرقاء وهي مثل دوامة الماء.²

¹ Sabah Ferdi, Mosaiques des Eaux En Algérie : un langage mythologique des pierres, p36.

² Ibid, p37.



الصورة 12: لوحة فسيفسائية لانتصار نبتون بمتحف شرشال.

فسيفساء "نبتون وإمفريت"ي

هذه القطعة من الفسيفساء تصور موكب انتصار نبتون وأمفريت *Amphirite* وتبلغ أبعاد اللوحة الفسيفسائية 310 سم x 196 سم¹.

وترجع هذه القطعة إلى حوالي عام 325 وهي محفوظة حاليا بمتحف اللوفر بباريس عاصمة فرنسا

وقد عثر على هذه القطعة في كودية عايطي بالقرب من مدينة قسنطينة بنوميديا (الجزائر حاليا).

تعتبر هذه القطعة الفسيفسائية من أكثر النماذج تأكيدا على مدى سيطرة الأساطير والآلهة على الفن الروماني.²

¹ Schmidit Joel : Dictionnaire de la mythologie grecque et romain, p 2

² عبير قاسم، فن الفسيفساء الروماني، ص 410.

والدير بالذكر أن مشهد الإله "نبتون" وزوجته "أمفيتريتي" وهما يركبان عربتهما، وحولهما المخلوقات البحرية المختلفة كانا من أبرز المشاهد التي ازدانت بها أراضي البرك والفسقيات والمعالم والمنازل الخاصة أيضا.¹

المنظر العام:

تعكس قطعة الفسيفساء هذه الطبيعة البحرية، والتي تعرف باسم Seascape حيث تظهر هنا بيئة أخرى تختلف عما سبق، ورأيناه في المثل السابق من نوميديا وكان يصور الحياة الزراعية أو الطبيعية بوجه عام سواء كانت مراعيًا وجبالًا أم كانت فيلات وقصور شيدت على شاطئ البحر.²

وتتمركز بؤرة القطعة من خلال الشخصية الرئيسية ألا وهي شخصية الإله "نبتون" إله البحار، وقد ظهر هذا الأخير محاطًا بكل رموزه وعلاماته التي اشتهر بها واشتهرت به، وترافقه في ذلك زوجته "أمفيتريتي" حيث يقفان بجوار بعضها البعض جنبًا إلى جنب، والإله "نبتون" هنا نجده يقود عربة خيول.³

¹ عبير قاسم، فن الفسيفساء الروماني، ص 44.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

³ المرجع نفسه، ص 410.



صورة رقم 13: فسيفساء "نبتون وأمفيتريتي"

فسيفساء عربة نبتون:

وجدت بالحمامات الشرقية الكبرى في القاعة الباردة لوحة عربة نبتون char de Neptune وهي معروضة بمتحف تيمقاد يبلغ طولها 3.50م وعرضها 2.50 م.

الحافة الهندسية: 2.98 x 3.48

بجانبيها يوجد شباك أسود وأبيض مائل للأصفر واسود أبيض ونجد نمط الزخرفة مغطى بحراشف مرتبة على شكل خطوط بنفس اللون الأبيض والأحمر ، الأصفر والأسود.

في مركز اللوحة نجد أربعة أحصنة بحرية Chevaux marins يكضون حاملاً نبتون واقف على العربة، في اليد اليسرى يمسك برباط الأحصنة، ويده اليمنى تحمل شوكة ثلاثية الأسنان على شكل أفقي فوق رؤوس الأحصنة² حيث يظهر جسم نبتون فوق العربة ووجهه يظهر على أنب بلحية كثيفة، فرسم نبتون بدقة فظهر وجهه بعبارات شديدة، كما عولج النصف الأعلى من الجسم باللون الأحمر، كما نرى نبتون واقفا داخل عربة لها شكل صندوق تظهر باللون البني الفاتح، وفي أسفله تظهر عجلة صغيرة.³

¹ Suzanne Germain, *les Mosaïques de Timgad : etude des criptive et analytique* : Préface de Jean Lassus, éditions : C.N.R.S, Paris, 1969, p 27.

² Sabh Ferdi, *Mosaïques des eaux En Algérie : un langage anythologique des pierres*, p 36.

³ Suzanne germain : les Mosaïques de Timgad, p 33.



صورة رقم 14: لوحة فسيفسائية لعربة نيبتون بمتحف تيمقاد

فسيفساء شرشال:

هو عبارة عن قطعة من الفسيفساء من منطقة شرشال الذي يصور الناظر الزراعية. بنوميديا (الجزائر حاليا) وتؤرخ بالفترة الأولى من القرن الثالث الميلادي¹ حوالي 200-210 م² والقطعة محفوظة بمتحف شرشال.

"تعد هذه القطعة من أمتع الصور عن الأنشطة الزراعية فهي تعكس في مشاهدتها العلوية عملية حرث الأرض، وبذر البذور وفي مشاهدتها السفلية تصور عملية خدمة ورعاية مزارع الكروم في فصل الشتاء، والجزء الذي نراه أمامنا ينقسم إلى قسمين أساسيين، الأول يتناول عملية حرث وبذر الأرض

¹ Boardman J, Griffing J, and Murray, « the oxford history of
² the oxford classical dictionary, p 272.

وهي بدورها مصورة من خلال صف أفقي، أما جزء السفلي فيصور زراعة الكروم، وهي أيضا من صف أفقي...¹

"وهذه العمليات التي ورد ذكرها لدى فرجيل virgilus في كتابه المسمى جيور جيكا، فقد كان من أهم الزراعات السائدة في إفريقيا في القرن الثاني بعد الميلاد، زراعة القمح".²

إن تصوير "فينوس venus" هو أحد المواضيع الأكثر معالجة في فهرس الفسيفساء بصفة عامة، وفي فسيفساء شمال إفريقيا خاصة، ففينوس معبودة لاتينية قديمة³، ففي العصور القديمة عرفت معبودة للحب والجمال والخصوبة، هذه المعبودة هي "فينوس" في روما و"مليتا" في بابل، التي تعادل "أفروديت Aphrodite" الإغريقية⁴.

وقد نشرت صوره بمعظم مواقع شمال إفريقيا من شرقها إلى غربها، إذ يصل عدد الفسيفساء التي تظهر من خلالها المعبودة "فينوس" في أوضاع وأشكال متنوعة إلى أكثر من "22 زوج"⁵.

وقد وجدت بعض الصور الفسيفسائية للمعبودة "فينوس" على المقابر، حيث إذا ماتت فتاة صغيرة السن يوضع على قبرها لوحة فينوس وكان ذلك تقليدا شائعا آنذاك⁶، بالإضافة إلى أنه تم وضع بعض اللوحات الفسيفسائية لـ "فينوس" داخل المنازل لتزود جدران الغرف والممرات والمآلات⁷ ومن بينها فسيفساء تاموقادي التي تمثل فسيفساء انتصار "فينوس".

¹ عيبر قاسم، فن الفسيفساء الروماني، ص 400.

² المرجع نفسه، ص 401.

³ شيخ لونين ليلة، فسيفساء المتحف الوطني للآثار القديمة، دراسة تنظيمية وترميم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2، معهد الآثار، 2009م، ص 6.

⁴ Naima Abdelouahab, le cortège de vénus, A.M. N.A..N, N°5, 1996, p 42.

⁵ بلكامل البيضاوية، المرأة من خلال فسيفساء شمال إفريقيا، أصنافها أدوارها ووظائفها، مجلة أمل، العدد 27، الدار البيضاء، ص 10.

⁶ أمين سلامة، معجم الأعلام والأساطير اليونانية والرومانية، الطبعة 2، مؤسسة العروبة، 1988، ص 245.

⁷ ناي توحمان نعيمة، الأساطير الإغريقية والرومانية من خلال فسيفساء تونس، (إجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1989م، ص 29.

فسيفساء "انتصار فينوس"

لوحة انتصار فينوس Triomphe de vénus في الغرفة المجاورة إلى الشرق متواجدة في متحف تيمقاد ويبلغ تقريبا طولها 2.40م وعرضها 220م.

يوجد على إافة Bordure شريط أسود (1/0.25) مع أوراق شجر الأكانتس إضراء إاميلة وإامراء من باقة تمثل الواجهة وسط كل جانب، فقط الحافة السفلية هي حاليا محفوظة، ولا يزال هناك شظايا إاور إواف، وإد أن إزء العلوي قد دمر إاما، وهناك شبكات صفراء ومسنة أسود أصفر وأبيض، الزخرفة Motif تشغل الجانب بأكمله وتشتمل على باقة مركزية ومنحنى مزدوج على إانب إا (ربما ثلاثة منحنيات إلى اليمين واليسار) ومن المؤكد أن جميع أوراق شجر الأكانتس ممثلة في فسيفساء من تيمقاد طبيعي أكثر وأكثر حيوية وبأقل أسلوب منمق على الرغم من بناء دقيق للغاية.¹

¹ Suzanna Germain : les Mosaïques de Timgad : Etude descriptive et analytique, préface de Jean Lassus, éditions C.N.R.S, Paris, 1969, p27.



صورة رقم 15: صورة لفسيفساء انتصار فينوس، بمتحف سطيف

فسيفساء "استحمام فينوس" بشرشال:

لوحة استحمام فينوس Toilette de Vénus موجودة في المنزل الغربي، عثر عليها في نادي تنس بشرشال، في غرفة ذات حنية، حظيرة الفسيفساء.

يبلغ طول اللوحة 4.95م وعرضها 4.90م (لوحة تقريبا مربعة وحجم الكعبات من 3م إلى 18م في الجانب.

المواد المستعملة فهي متمثلة في: الحجر الجيري والرخام (باللون الوردي والأصفر) وعجينة الزجاج والطلاء.

الحجم بالديسمتر المربع: حجم البحر 82 د م² تقريبا السمك 143 دم، 268 د م² وريات البحر 143 د م² للسيناتور 100 د م² للصدفة 255 د م² لفيتوس و 144 د م² للتموج.

حجم شريط التركيب 14 سم ويتكون من ثمانية صفوف من المكعبات البيضاء ولها حافتين: **□**افة **□**ارجية حجمها 24 سم بها جدائل مزدوجة عولجت باللون الاخضر والاصفر والاحمر والابيض، اما **□**افة الداخلية فحجمها 45 سم وهي عريضة **□**توي على **□**ا لشجر الأخضر، **□**كؤوس على شكل أبواق أو مخاريط بسيطة باللون الأخضر الشاحب والأصفر ولفائف بشكل حلزوني تلتف حول الكؤوس بلون اصفر، بحيث تمنح تأثير على الزهور ذات اللون الوردية.¹

إن الموضوع الرئيسي يمثل مشهدا لاستحمام فينوس، وهي جالسة على قوقعة في جو مبتهج **□**شاهد أسطورية تميزها عدة كائنات بحرية ومشاهد متنوعة.²

وصف اللوحة: على خلفية البحر المظلم، حيث يتم تموج سطح المياه من خلال خطوط قصيرة متعرجة وفي الوسط تظهر في الأعلى فينوس وهي عارية إلى الساقين تجلس في الواجهة على صدف خضراء بأخدود جلدي من مكعبات الزجاج الأزرق، تتوسط **□**ا من السنتور وهي رافعة ذراعيها **□**مل **□**أصابعها قلادة ذهبية فاخرة مصنوعة من مكعبات سوداء وبيضاء، أما وجهها فهو ملتفت قليلا إلى اليسار، محاط بشعر كثيف أشقر مزين بتاج من قماش ملتصق به حجر كريم ذو لون أحمر، وساقها ملفوفة بقطعة قماش حمراء مخططة وملقية إلى اليمين، وتضع في معصمها أساور ذات لون بني، وكما يظهر من خلال اللوحة أن كلا السيناتورين يقومان بفتح الصدفة وتتمثل بطريقة مناظرة، ونحو الخارج نجد أن أكتاف السيناتورين انحرف على الصدفة ووجوههم ملتفة نحو المعبودة وذراعيهما

¹ Sabah ferdi, Corpus des mosaïques de cherchel, editions : CNRS, Paris, 2005, p 98.

² محمد أكلي إخران، جرد التحف الأثرية المعروضة بمتحف جميلة (كويكول القديمة) رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة، معهد الآثار، 2007، ص 14.

مشددود يحملاان مخروطين يزين شعرهن الأخضر ويبدو أن جسديهما مفتول العضلات مشكلين بالون□ من الوردي الداكن.¹

في الأسفل على جانبي الصدفة تظهر اثنتين من حوريات البحر متداخلة مع وحوش البحر²، وتظهر الحورية في اليسار عارية تقريبا تحمل وشاحا فوق رأسها، وبين أمواج البحر تظهر الأسماك والدلافين بكثرة، إن المشهد الأكثر تمثيلا في اللوحات الفسيفسائية هو مشهد المعبودة فينوس واستحمامها.



صورة رقم 16: صورة لفسيفساء استحمام فينوس بشرشال

تعتبر مدينة جميلة الأثرية لولاية سطيف، تحفة فنية عريقة لمدينة أثرية رومانية لازالت بعد مئات السنين من بنائها شاهدة على عصر مرت به المنطقة، حيث يكتسيها جمال خاص نظير هندستها المعمارية

¹ Sabh ferdi : Mosaïque des eaux en Algérie : un langage mythologique des pierres, p 109.

² Naima Abdelouhab, OP.CIT, p 45.

الرومانية الاصيلة وفنيتها الرائعة التي جسدت بها مختلف اجزائها من الكج السرحي إلى الأحياء والأعمدة الشاهقة.

فأصبحت المدينة مقرا لعدد السباح والزائر والأجانب الذين يزوروا سنويا لاكتشاف معالمها والاطلاع على روائعها الفنية التي عملت الرومان على تجسيدها عمرانيا في المدينة.

تحتوي منطقة جميلة الأثرية على فسيفساء تاريخية تصور آثار المدينة وأحيائها حسنة التنسيق والزخرفة حيث صنف من طرف منظمة اليونسكو كموقع من مواقع التراث العالمي، زينت حمامات جميلة الموجودة في جنوبها بالفسيفساء وصفائح المرمر¹، أما بخصوص المنازل والمباني التي كان يسكنها العامة من الناس، نجد فيها عدة منازل فاخرة وبناء هندسي راق يؤكد على الذوق العالي الذي امتاز به الرومانيون، وقد أصبح بفضل النقوش والفسيفساء معرفة أسماء بعض مالكي هذه الديار.

وقد ترك الرومان معالم كثيرة تدل على وجود الفترة المسيحية في الجزائر من بينها كنيستين مزخرفتين بمختلف أنواع الفسيفساء والنقوش الحجرية الخلاب، وكذلك متحف يقع داخل الحديقة ويضم مجموعة من الاكتشافات الأثرية في نفس الموقع و يجمع بعض الآثار النادرة والفريدة من نوعها، إضافة إلى تنوع فسيفسائها المليئة بالألوان الباردة والتي تمثل المواضيع الأسطورية والموجودة بالباحة الخلفية² والتي اكتشفت خلال الحفريات التي أجريت في موقع المدينة الرومانية سيتيفيس تتصدرها لوحة عودة الإله باخوس Bacchus وكذا لوحة حمام الإلهة فينوس Vénus إلى جانب بعض اللوحات الجنائزية الهندسية، النباتية والكتابية.³

فسيفساء "الانتصار الهندي" بسطيف:

لوحة الانتصار الهندي Triomphe indiens لباخوس Bacchus متواجدة بالمتحف الوطني بسطيف وطولها 6.50م وعرضها 3.70م (لوحة مستطيلة تقريبا).

¹ www.elmakan.com

² http://news.travelrepedia.net

³ http://m.sfari.com

زخرفة الإطار مشكلة بأوراق شجر بعرض 0.75م، بحيث تحتل مركز كبير، والإطار عريض يظهر بداخله ساتير في صراع مع الأسد أو النمر بين إلتواءات نبات الأخنشة على خلفية سوداء وفي الزوايا الأربعة للإطار صور وجه رجل وقور ملتحي يرتدي قبعة غربية تنتهي بشبه مزهرية في الأعلى وتنبع من أذنيه أوراق الأخنشة.¹

اللوحة تثل انتصار العبود "باخوس" في شكل تقليدي أكثر وعودته من الهند بعد انتصاره على الأعداء، وكما جرت العادة صور في موكب انتصاري ملكي مع كل رفقائه (ساتير، بان، سيلان، السكير، النصر المنح)، حيث يظهر العبود في المؤخرة مع موكبه الكبير المتنوع وهو يحتل الجهة اليسرى من اللوحة ويتجه نحو اليمين فوق عربته الملكية التي تجرها نمرتان اللتان ترمزان إلى براعة وتمكن باخوس في البرية، وبالتالي كانت فسيفساء سطيف مثالا فريدا في الفسيفساء فهي تصور مشهدا "ديونيزيا" مألوفاً على التوابيت النائرية بنفس الطريقة، كما أأ تتميز عن اللوحات "الديونيزية" بشمال إفريقيا بجمالية غربية عن تقاليد الفسيفساء الإفريقية وأقرب من إنجازات المشرق الهليني.²



صورة رقم 17: فسيفساء الانتصار الهندي لباخوس بسطيف

¹ نجمة سراج رميلي، الفسيفساء الديونيزية في الجزائر خلال المرحلة الرومانية، مجلة إيكوسيم، العدد 2، الجمعية الجزائرية للحفاظ وترقية التراث الأثري، الجزائر، 2013م، ص 148.

² المرجع نفسه، ص 149.

فسيفساء " النصر الباخي "

لوحة النصر الباخي "Triomphe Bachique" معروضة بالمتحف الوطني بئرشار، وفي الغرفة التي تحتوي على الفسيفساء تم قياس طولها 7.50م وعرضها 4.30م.

اللوحة كانت محفوظة بشكل جيد نوعا ما، حيث كانت الفجوات مرممة بالاسمنت وقد كانت هناك شظايا لا تعد ولا تحصى وطلاء من الرخام من مختلف الألوان، في الغالب رمادي، أبيض وأخضر، حيث يمكن أن تغطي فكرة فنية عن زخرفة متعددة الألوان في هذه الغرفة ومن الألوان المستعملة: العقيق، مغرة حمراء، الأسود، الأبيض والأصفر، مغرة صفراء¹.

الإطار يتكون من العنصر الزخرفي المعروف والشائع بالظفيرة Tresse الزدوجة بالأبيض والأحمر على خلفية سوداء، يحي ذبها شريط رفيع وضيق من المكعبات البيضاء التي يليها خط اسود، اللوحة الزخرفية مكونة من شبكة من الدوائر والأقواس المتقاطعة، والتي تتخللها عناصر زخرفية (مات، قواقع، سعيقات وحلزونات) مختلفة الألوان تعطي اللوحة الفسيفسائية مظهر سجادة جميلة.²

فأفريقيا التي كانت تلقب بمطامير روما، كانت لزراعتها هذه ابلغ الأثر في لوحات الفسيفساء مثلما نرى هنا في عملية الحرث في فسيفساء بئرشار هذه.

¹ Sabh Ferdi, Corpus des mosaïques de Cherchel, p122.

² Jean Béreard, un Triomphe Bachique sur une Mosaïque de cherchel in : M.A.H, Tome 53, 1936, p154.



صورة رقم 18: صورة لفسيفساء النصر الباخي بشرشال

القطعة المستديرة l'enblém تقف على لوحة الزينة لكي لا تشغل الوسط، بحيث تترك مساحة اوسع بكثير على الجانبي الشمالي والجنوبي، واللوحة يحيط بها إطار اكثر بساطة: اثنان من خطوط سوداء والآخر مسنن بواسطة مكعبات بيضاء.

اللوحة التصويرية تمثل عربة النصر يجرها فران إلى اليمين في باطية أوانية كبيرة موضوعة على الأرض، والأخرى تدير رأسها وتنظر إلى الأمام، كما تظهر العربة بعجلة واحدة فقط من اثنين وهي تمثل صندوق مزين باثنين من الشخصيات الصغيرة يسهل التعرف عليهما، مظللين باللون الرمادي والأسود تم تعيين المشهد على خلفية بيضاء، كما تظهر أربعة لجام حمراء بسك برباط اثنان من

النمرين ولما تقف العربة وزن الجسم يستريح على الساق اليسرى المعبود كان يرتدي ثوب فضفاض من اللون الوردى، ويرتدي وشاح Nébride متدلي فوق صدره، كما يظهر الثوب بأكمام قصيرة تتوقف في منتصف الذراع، ويرتدي سترة من القماش الأخضر والأزرق مع الأكمام، وسك باليد اليسرى وشاح أبيض مع خطوط حمراء وزرقاء منفوخ بفعل الرياح، يمتد في شكل نصف دائرة خلف رأسه ويلتف حول الذراع اليمنى.¹

والإطار Opustessellatum عكس اللوحة المركزية التي يبدو أنها تركت لفنان ماهر ولكن رغم ذلك فهي تبدو غارقة في إطار أكبر بكثير منها، ما جعلها لا تبرر لأول مرة وهلة، كما تشاهد على اليمين بعض الزينة متمثلة في مثلثات هندسية بخطوط سوداء.

وهذه الفسيفساء ينظر إليها على أنها الجزء الأكبر دقة في التنفيذ من ناحية الترميق في الأنماط الزخرفية جنباً إلى جنب وكذا انسجام الألوان واستخدام الكعبات الزرقاء والبراء والعجج الزجج.² فتميز لوحة شرشال بالبساطة الشديدة بالمقارنة مع غنى وتنوع المشاهد الإفريقية الأخرى³

ومما سبق نستخلص أن اللوحات الفسيفسائية الموجودة بالجزائر هي بمثابة وثائق تاريخية ذات قيمة حضارية، فنية واقتصادية، كما أنها تعتبر حلقة وصل بين الماضي والحاضر، فغنى الجزائر بهذه المعالم الأثرية الرومانية يعكس جوانب حضارية من تاريخها وأصالتها باعتبارها زائر مهد الحضارات العصور الغابرة التي سجلت تاريخها بها.

¹ Jean Bérard, un Triomphje Bachique sur une mosaïque de cherchel, p155.

² Ibid, p156.

³ نجمة سراج رميلي، الفسيفساء الديونيزية في الجزائر خلال المرحلة الرومانية، ص 147-148.

الفصل الثالث

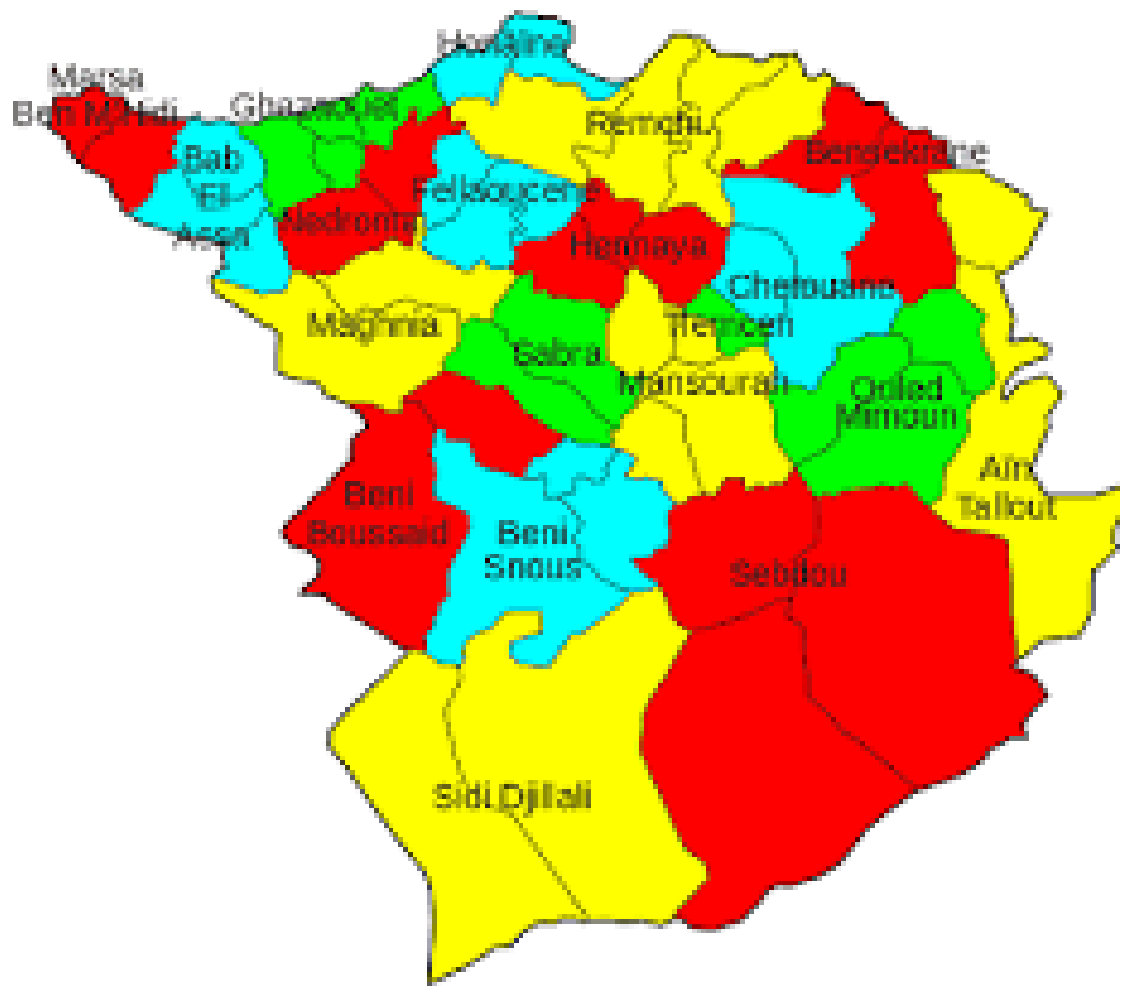
الفسيفساء في مدينة تلمسان

تمهيد

المبحث الأول: الفسيفساء في تلمسان

المبحث الثاني: دراسة تحليلية لجدارية

محكمة تلمسان



خريطة تلمسان

المبحث الأول: الفسيفساء في جدار محكمة تلمسان

تمهيد:

تلمسان مدينة قديمة ضاربة جذورها في التاريخ، ومن دلائل قدمها أن موقعها عرف عبر تاريخها السحيق بعدة أسماء: أقادير، بوماريا، اقادير ثانية، تاقاروت، ثم تلمسان.

اما القابها فهي على التوالي: "مدينة الجدار، جوهرة المغرب، غرناطة إفريقيا، مدينة حب الملوك"، مهد التاريخ والحضارة، كما جاءت قريحة الادباء والشعراء الذين حلوا بها فنظموا فيها أشعارا وحلوها بأفخم عبارات الحسن والجمال.¹

كما تلقب المدينة بـ"لؤلؤة المغرب الكبير" نظرا لموقعها الجغرافي حيث تقع شمال غرب الجزائر بالإضافة إلى معالمها الأندلسية العريقة والمباني الفنية الخالدة والعظيمة، حيث تضم المدينة عددا وفيرا من المعالم الأثرية والسياحية مثل "مسجد سيدي أبو الحسن" الذي يعد تحفة نادرة في الجزائر، أكادير المشيدة في القرن 8م ومعالم أخرى كشلالات لوريط والمسجد الكبير وضريح الولي الصالح "سيدي بومدين" "ساحة المشور" و"متحف الآثار" وغيرها.²

كما ساهم موقعها الخلاب وطبيعتها الآسرة في تسميتها، فهي تقع على سفح جبل داخل مزارع الزيتون والكروم وبفضل هذا الموقع الممتاز فهي تشرف على مجموعة من الأحواض الداخلية التي تؤمن لها من جهة حاجياتها الغذائية وبجعلها من جهة أخرى تراقب حركة المرور على مستوى المنطقة الممتدة من السفوح الشمالية للأطلس التلي إلى غاية الساحل بتلاله وتجمعاته.

¹ براها مي نصر الدين، تلمسان الذاكرة، دار نالة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، سنة 20، ص 9

² <https://www.elmaoud.com>

مكانة تلمسان التاريخية والأثرية:

تعد مدينة تلمسان العتيقة قطبا سياحيا من المستوى الرفيع نظرا للثراء الحضاري والتاريخي والثقافي الذي تزخر به والذي من شأنه أن يجعل منها وجهة مفضلة لدى السياح من داخل وخارج الوطن.¹

واشتهرت تلمسان بإشعاع علمي وفكري وديني كبير جعلها تلقب بـ "مدينة الفن والتاريخ" من قبل المستشرق الفرنسي "جورج مارصي"، كما أطلق عليها اسم "غرناطة إفريقيا"

ويعود هذا التنوع الفكري والعمراني فيها إلى تعاقب الحضارات فيها، فقد سكنها الأمازيغ وكانت تسمى "أغادير"، مر بها الوندال خلال فترة الحكم الروماني لها ثم حكم الرومان المدينة في نهاية القرن 5م إلى أن فتحها العرب على يد القائد "عقبة بن نافع"، حكمها أيضا "بنو زناتة" في القرن 8م حتى قاموا بانشقاق عن العباسيين، سكنها أيضا الأدارسة القادمون من المغرب الأقصى وتحديدًا من فاس وبقيت تحت حكمهم طيلة القرن 9م ثم حاصرها المرابطون بزعمامة "يوسف بن تاشفين" ومن أبرز المعالم التي تركوها في المدينة "مسجد تلمسان الكبير"، ثم فتحها الموحدون وحكموها لمدة 40 عاما، حاصر المرينيون القادمون من أقصى المغرب تلمسان لمدة 7 أعوام وأطلقوا على المدينة الجديدة اسم "المنصورة" خضعت المدينة للحكم العثماني ثم الاحتلال الفرنسي.²

وكانت ابرز فترة في تاريخ تلمسان فترة الحكم الزياني، حيث انتشرت الثقافة والعلوم ونبغ كثير من الفقهاء والأدباء والمؤرخين، فكانت همة وصل بين دول أوربا وأقطار ما وراء الصحراء الإفريقية وملتقى طلاب العلم من مختلف الأقطاب، كما انتشرت في تلك الفترة المدارس التي وصفها "الحسن الوزان" بأنها حسنة جيدة البناء، مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية ومن أشهر هذه المدارس

¹ إبراهيمي نصر الدين، تلمسان الذاكرة، ص 38.

² المرجع نفسه، ص 9.

"المدرسة التاشفينية" التي بناها "عبد الرحمن أبو تاشفين" وبرزت أيضا "المدرسة يعقوبية" وبالنسبة إلى المساجد الزياتية والباقية إلى يومنا هذا: "مسجد سيدي الحلوي" الذي يحمل مميزات العمارة المرينية.¹

من خصوصيات تلمسان أنها إلى جانب تفوقها في المجالات الانفة الذكر، قد فرضت وجودها في ميدان العمارة إذ طورت نموذجا انفردت به على مستوى المدن العتيقة المغاربية ووظفت رمزية معينة لها دلالة اجتماعية تؤكد رقي التلمسانيين حضريا²، وهذا ما جعل تلمسان أو عاصمة الزياتيين كما يسميها البعض تزخر بمعالم أثرية على عراقة حضارة امتدت عدة قرون ومن بين هذه المعالم الكبرى التي لازالت شاخصة بتلمسان تروي مآثر الأسلاف نجد على الخصوص³ الجامع الكبير، منصور، مسجد أبي الحسن التنسي.....

II. الفسيفساء بتلمسان:

1. مسجد سيدي الحلوي:

تعد مئذنة مسجد سيدي الحلوي ثالث مئذنة مرينية في تلمسان، وتكاد تكون نسخة مطابقة لمئذنة مسد سيدي بومدين بقرية العباد في النسب والزخرفة، وقد بنيت مع الجامع عام 754هـ/1354م، وهي عبارة عن برج قاعدته ذات شكل مربع، تتخذ مكانها على امتداد الرواق الشمالي لساحة المسجد.⁴

تتكون المئذنة من برجين متتاليين هما: البرج الرئيسي والبرج الصغير (الجوسق).⁵

البرج الرئيسي زخرفت جدرانه بشبكات معينة بداية من نهاية الثلث الاول من طول البرج، وفي أسفلها وضع إطاران مستطيلان: الأول عرضه أقل من ارتفاعه وهو محاط بإفريز من فسيفساء الخزف

¹ <https://www.noonpost.org>content>

² إبراهيمي نصر الدين، تلمسان الذاكرة، ص 58.

³ <https://www.djazairiss.com>aps>

⁴ Charles BROSELARD : «les inscriptions Arabes de Tlemcen », p 325.

⁵ Rachid Bourouba : l'Art religieux musulman en Algérie : 2ème ed : Alger ; ANEP, 1981, p 274.

بعقد على هيئة إكليل، والثاني فهو محاط بإطار من السيراميك من ثلاث جهات ومزخرف في داخله بشبكة معينات أخرى بفسيفساء كذلك من الخزف¹، حيث زينت الشرفات التي تعلو البرج في واجهات خارجية بفسيفساء من الخزف تتمثل في مثلث بداخله زهرية².

أما بالنسبة للبرج الصغير (الوسق) تتمثل زخرفته في إطار مستطيل فرش بشبكة معينات تتكئ على عقد ذي شرفة من رأس واحدة، وقد أثت بزخرفة زهرية فوق فسيفساء الخزف، وتبدو هذه الزخارف الفسيفسائية حديثة العهد كأنها نتجت عن ترميم للجوسق أما الجامع له ثلاث أبواب أحدهما شرقي والآخر غربي والثالث هو الأعظم الجوفي المغشى بالفسيفساء والتي لازالت تحتفظ بجمالها إلى يومنا هذا.³



صورة رقم 19: مئذنة مسجد سيدي الحلوي بتلمسان

¹ صالح بن قربة: المئذنة الأندلسية في العصور الوسطى، الجزائر، م.و.ك، 1986، ص 98.

² Rachid Bourouba : l'Art religieux musulman en Algérie , p 273.

³ Charles BrosseLARD : »les inscriptions Arabes en Tlemcen », p326.

2.مسجد سيدي عبد الرحمان: استخدم فيه الطراز العربي الإسلامي، وفي المسجد فسيفساء عجبية ومنارته ذات جمال فائق، وهي أيضا مزينة بالفسيفساء ومربعة الشكل.

3.مئذنة سيدي بومدين: تعتبر مئذنة سيدي بومدين ثاني مئذنة مرينية بتلمسان، والسلطان أبي الحسن المريني هو من أمر ببناء هذا المسجد عام 1338/هـ¹. إن مئذنة جامع سيدي بومدين عبارة عن برج قاعدته مربعة ترتفع أكثر من 27 متر على الأرض، وهي كغيرها من المآذن تتكون من برج متتابع: البرج الرئيسي والجوسق، تبدأ زخرفة هذا البرج من نهاية ثلثه الاول ومحت هذه الزخرفة يوجد إطار مربع نقش عليه بخط كوفي الكتابة التالية "بركة محمد" وقد استعمل الرسامون بتلمسان في إنجاز هذا الرسم الفسيفساء من خلال استخدام الآجر المرصع بقطع من الخزف المزجج الأخضر²، أما الإطار العلوي فزخرفته تعتبر تحفة جمالية نادرة، وهي تتشكل من زهريات من فسيفساء الخزف، كل واحدة تتوي على 24 فرعا تنحرف في مربع³، وتعد الزخرفة فوق السيراميك من خصائص الفن المعماري بالمغرب الإسلامي، استعملت بكثرة في الأندلس، أما الجوسق فقد زين إطاره بفسيفساء من الخزف وأثث بإفريز من الزهريات ذات 12 رأسا، كما أكسب الخزف رونقا وجمالا ومرتعة للناظرين.

¹ غوثي بن سنوسي: الزخرفة في مساجد تلمسان، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1990، ص 410.

² المرجع نفسه، ص 180.

³ الحاج عمر العشعاشي، ماضي تلمسان المجيد، ISBN، تلمسان، 2002، ص 13.



صورة رقم 20: مدخل لمسجد سيدي بومدين

4. باب الخميس: مع حجمها الكبير كانت لها بوابة وسطى وبابان ثانويان، كانت مزوقة بالفسيفساء، لم يبق منها الآن إلا باب ثانوي صغير هدم المستعمر الباب الرئيسي والباب الشمالي، وترك الباب الذي لا يزال موجودا، من أجل رف القيقية كي تستصغر الأجيال الصاعدة جزءا من تاريخها.¹

¹الحاج عمر العشعاشي: ماضي تلمسان المجيد، ISBN، تلمسان، 2002، ص 111.



الصورة رقم 21: صورة لباب الخميس

5. مدرسة العباد الأنيقة: أبقت السلطات الاستعمارية على الطراز المريني وأصرت على إزالة كل المعالم الزبانية وبالتالي حرمتنا من التقييم والمقارنة، فكانت هندسة المدرسة على شكل مربع، وصنعت مكان مرتفع عن المارة، تميزت هذه المدرسة بقاعة كانت مخصصة للدروس والتي زينت بمحراب أنيق، وأرضيتها كانت مغطاة بقطع من الزليج المربع (10x10) سم² أما جدرانها التي يزيد ارتفاعها على 150 سم، لبست بنماذج من قطع الفسيفساء الملونة، فيما تحمل الجدران إلى مستوى السقف نقوشاً جصية هندسية وبنائية وتعلو هذه القاعة قبة ازدانت بصفائح خشبية نقش إفريزها بآيات قرآنية.¹

¹ إبراهيم نصر الدين، تلمسان الذاكرة، ص 195.

6. المدرسة التاشفينية: عرف أبو تاشفين عبد الرحمان الأول بشغفه بفن العمارة، فهو الذي أمر ببناء هذه المدرسة¹، والتي تعتبر رمز مجد بني زيان، فكانت هي وساحتها صرحا من الفن الراقبي، حيث تعرضت مرافقها التي كانت على الناحيتين الجنوبية والغربية إلى الهدم سنة 1834م.

فكانت أحد النماذج العمرانية الراقية ذات الطابع الأندلسي، حيث كان هذا البناء في كامل الروعة والإعجاب حتى إن جزء من الفسيفساء والزليج بعثت إلى متحف "اللوفر Louvre" و"كلوني Cluny" بفرنسا وعرضت أخرى في متحف الجزائر، تفوقت هذه المدرسة بزيها المعماري الخاص، فكان داخلها مزين بتلك النجمة الأندلسية من الفسيفساء (قطع خزفية من شتى الألوان، مجملة بحكمة وتبرق على ضوء النهار، فكن يعجب بها كل من دخلها بجمالها.²

7. الفسيفساء الخزفية في حفرة قلعة المشور:

تتضمن الزخرفة بالفسيفساء الخزفية في حفرة قلعة المشور بمدينة تلمسان أنواعا مختلفة من الموضوعات الخزفية منها الزخارف الهندسية، النباتية، المعمارية والكتابية، وتعد الزخارف الهندسية هي الأسلوب الغالب وتتكون من: مربعات، معينات، أطباق نجمية بالإضافة إلى الأشكال المضلعة.³

وتنقسم الزخارف الهندسية إلى قسمين:

- التشبيكات المستقيمة التي تنقسم بدورها إلى عدة أساليب زخرفية منها المعينات البسيطة مكونة من أشكال هندسية كالربعات، المستطيلات والمثلثات التي تكون أحيانا أطباقا نجمية، وكثيرا ما يتوسط الزخرفة شكل نجمي تحيط به مضلعات مختلفة، وإما أن تتشكل النجمة بواسطة تلك الطوطم التشابكة، كما نجد أشكال لوحة الشطرنج التي تنقسم بدورها إلى عدة أقسام، أما الزخارف النباتية فهي قليلة نسبيا ربما للصعوبة التي يواجهها الصانع في تقطيع نماذجه، ونميز نوعين من الزخارف

¹ إبراهيم نصر الدين ، تلمسان الذاكرة ، ص 67.

² الحاج عمر العشعاشي، ماضي تلمسان المجيد، ص 182-183.

³ لخضر درياس و اخرون، حفرة قلعة المشور الزيانية، وزارة الثقافة، قسنطينة، 2011م، ص 321.

النباتية: النوع الأول، تتحدد فيه السيقان والمراوح النخلية على هيئة أشربة من الأرابيسك، أما النوع الثاني تغيب فيه وساطة السيقان ويقتصر على تشابك بعض براعم والمراوح النخلية.

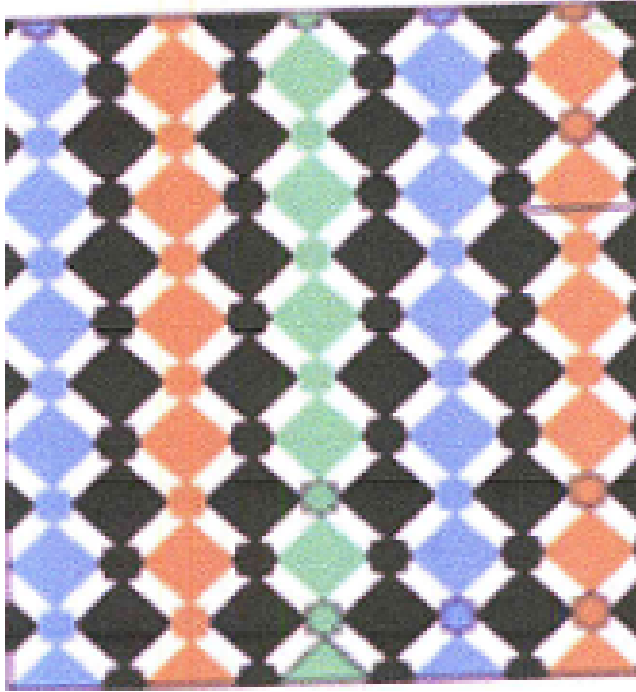
- أما الزخارف المعمارية فتتمثل في فسيفساء خزفية ذات أشكال الشرفات وعقود متقابلة.

- أما بالنسبة للزخارف الكتابية فهي نادرة وتتمثل في بعض القطع لحروف بالخط الكوفي.¹

تدخل هذه التركيبات والزخارف الفسيفسائية ضمن إطار زمني يمتد ما بين القرنين (14، 16م)، وهي فترة حكم الملوك الزيانيين بتلمسان، كما يجدر الذكر أن هذه الزخارف الفسيفسائية نجدها في معالم أخرى بتلمسان والأندلس وكذلك بالمغرب الأقصى، وهذا ما يدل على تأثير الفن التشكيلي الزائري بفنون البلدان الأخرى.، حيث كان هذا الطراز الزخرفي شائعاً في العمائر الإسلامية وهو طراز مغرب أندلسي واستمر استعماله حتى يومنا هذا في المغرب الأقصى، كما أدخلوا عليه بعض التعديلات واللمسات التزيينية.²

¹ لخضر درياس و آخرون ، حفرة قلعة المشور الزيانية ، ص 321

² المرجع نفسه ، ص 322.

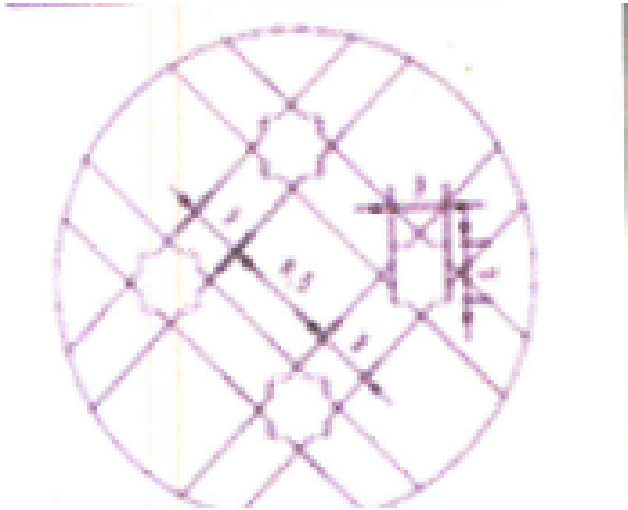


فسيفساء خزفية شطرنجية

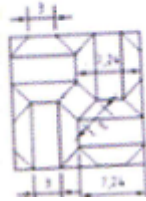
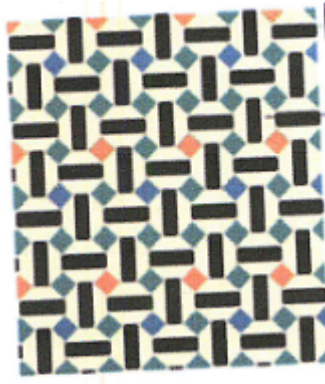
قلعة الشور: القرن 14 م

النجمة: 3 سم / مربع: 605 سم

الفسيفساء الخزفية ذات زخرفة شطرنجية مركبة من قطع مستطيلة بيضاء تشكل سلسلة من المربعات المتشابكة وقطع ثمانية أضلاع منتظمة متعددة الألوان كالأسود، الأزرق، الأخضر، والأصفر العسلي



صورة رقم 22: فسيفساء خزفية ذات زخرفة شطرنجية



فسيفساء خزفية زخرفية هندسية

قلعة الشور: القرن 14 ميلادي

المستطيل: 7.24 سم/المربع: 3 سم.

فسيفساء خزفية مركبة من قطع هندسية مختلفة الأشكال

مربع، مستطيل، بطلاء متعدد الألوان، الأسود، الأزرق والأصفر
العسلي.



صورة رقم 23: فسيفساء خزفية زخرفية هندسية

فسيفساء خزفية ذات زخرفة هندسية ونباتية

قاعة الشور: القرن 14 ميلادي



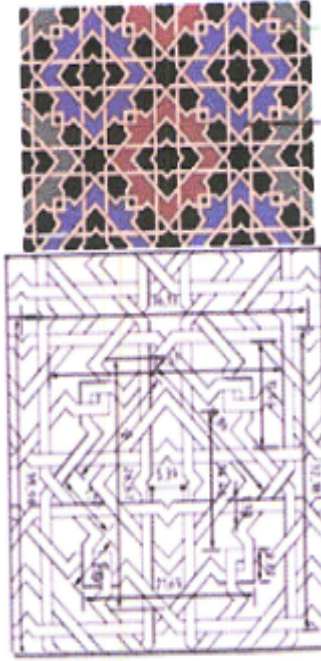
إطار نافورة من الفسيفساء الخزفية ذات زخارف هندسية ونباتية مركبة من الخارج إلى الداخل من قطع مستطيلة بطلاء أخضر محاطة بمثلثات سوداء تليها تفرعات لسيقان نباتية متداخلة ومراوح نخيلية ذات اللون الأسود، الأخضر والعسلي، ثم شريط مقوس من المستطيلات، ثم سلسلة من الشرفات سوداء اللون.



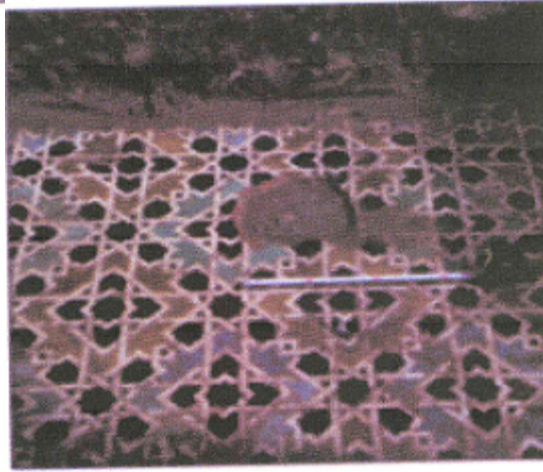
صورة رقم 24: فسيفساء خزفية ذات زخرفة هندسية ونباتية

فسيفساء خزفية ذات زخرفة هندسية

قلعة المشور: القرن 14 ميلادي



قطعة من الفسيفساء الخزفية قوام زخرفتها أشكال هندسية مكونة من خطوط منحنية ومنكسرة بيضاء تتخللها قطع نجمية ثمانية الرؤوس وأخرى ذات زخرفة هندسية مختلفة وقد استخدم في هذه الزخارف الأسود ، الأزرق الأخضر والأصفر العسلي.



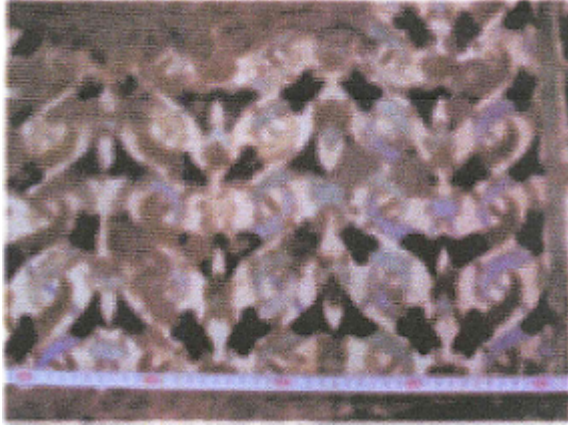
صورة رقم 25: فسيفساء خزفية ذات زخرفة هندسية



فسيفساء خزفية ذات زخرفة نباتية

قلعة الشور: القرن 14 ميلادي

قرائن: زاوية شلا بالرباط (القرن 14م)



لوحة من الفسيفساء الخزفية قوام زخرفتها أشكال نباتية متشابكة مكونة من تفرعات نباتية لسيقان ملتفة حول بعضها تتخللها أوراق نباتية وأخرى على شكل مراوح تخيلية، متعددة الألوان الأسود، الأزرق، الأخضر والعسلي، ومحددة من الجهتين بقطع مستطيلة خضراء اللون.

صورة رقم 26: فسيفساء خزفية ذات زخرفة نباتية



صورة رقم 27: للفنان أوغستن جون فراندو

المبحث الثاني: دراسة لجدارية محكمة تلمسان

الجانب التقني

نبذة عن صاحب اللوحة:

أوغسٲ جون فراندو Augustin Jean Ferrando من مواليد سنة 1880 ٲ مدينة مليانة، توفي سنة 1957 ٲ مدينة وهران، فنان فرنسي مستشرق من ٲدرسة ٲدبٲة ٲسماء أيضا مدرسة الجزائر، قضى كل طفولته بدائرة مليانة التي تبعد بـ 100 كلم غرب العاصمة ٲزائرية، وكان أستاذ، هو من اكتشف مواهبه الفنية وأقنع والديه بأن يتركوه يذهب إلى الجزائر¹، وكل من تعرف عليه احتفظ بذكرات لا تنسى، كإنسان كان يتصف بالاستقامة امتاز بحمايته للضعفاء إضافة إلأى أنه يحب الضحك والتحرر.

ومما يجب الانتباه إليه هو أن داخل الإنسان يوجد الفنان، إلا أنه بالنسبة لأوغستن فراندو "الرسم هو وظيفة طبيعية كالكلام وحاجة ضرورية مثل الغذاء".²

أوغستن فراندو ذو أصول إيطالية، جاء والديه إلى مدينة مليانة (مدينة رومانية سابقا) أين جاؤوا من أجل تطوير صناعة العجائن الغذائية³.

وقد كانت مدينة مليانة مصدر إلهام لجل رسوماته بحكم موقعها الاستراتيجي كوهنها تضم جبالي الأطلس والونشريس، تلقى دراساته أولا في مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر العاصمة المسيرة من طرف تلميذ الأستاذ « Ingress » بعدها انتقل إلى أكاديمية Druet أين لاحظته الدكتور « Rouby » وقام بتقديم له مساعدات مالية معتبرة كما قدمه إلى الموسيقي « camille » saint s ns الذي كان من هواة الفن، إضافة إلى george Rocheegrosse هؤلاء

¹ <http://jeanyvesthorriginac.fr>

² <http://certclealgerianniste.fr>

³ <http://certclealgerianniste.fr>

الأشخاص هم من دفعوا به إلى تقديم امتحان الدخول إلى مدرسة الفنون الجميلة بباريس أين تحصل على المرتبة الأولى من بين ألف وخمسة مائة تلميذ، بعدها ذهب إلى باريس والتقى بـ « Corman » الذي منحه منصب راقي في المدرسة.

التقى أوغست¹ بفنان² وحشي³ أمثال ماتيس Matisse وسيزان Cézanne وغوغان Gauguin وآخرون، هذا ما جعله يحذو حذوهم نحو الوحشية كما قادت صداقته نحو Jean Gabriel و Albert camus و Marcello لكن حالته الصحية أرغمته على ترك أصدقائه والعودة إلى مسقط رأسه الجزائر¹.

وفي سنة 1919 قرر رئيس بلدية وهران إنشاء مدرسة للفنون الجميلة واختار أوغستن فراندو كمسير لهذه المدرسة كونه كان أقرب صديق إلى ابنه هذا ما جعله يلاحظ مواهبه العديدة، فقد كان ملك حسا فنيا واضحا، وبهذا قدم فراندو عشر سنوات من حياته الفنية من أجل الرفع من قيمة هذه المدرسة.²

اعتبر أوغستن فراندو الفنان الوحشي الوحيد في الجزائر وقد تحصل على عدة ميداليات في معارض جمعية الفنانين المشتركين.³

كانت معظم أعماله معتبرة عن أفكاره المتحررة، ومن بين أعماله: فسيفساء جدارية محكمة تلمسان.

تاريخ الإنتاج: 1931.

نوع العمل والتقنية المستعملة، جسد العمل على جدار بتقنية الفسيفساء.

المكان: العمل متواجد بالدارج¹ بكمية تلمسان² جهة الغربية وسط المدينة.

¹ <http://cretclealgerianniste.fr>

² <https://jeanyvesthorrignac.fr>

³ <https://jeanyvesthorrignac.fr>

الشكل والجم: جاءت اللوحة في إطار مستطيل الشكل، وأبعادها 20m3 على 2m80.



صورة رقم 28: لفسيفساء جدارية محكمة تلمسان



صورة رقم 29: لفسيفساء جدارية محكمة تلمسان

2/ الجانب التشكيلي:

الألوان ودرجة انتشارها:

تعتبر لوحة أوغستن جون فراندو لوحة غنية جدا بالألوان من الأساسية والثانوية، فقد أحسن الفنان استخدامها ومنحها شكلا رائعا حسب خصائصها من دافئة وباردة، غامقة وفاتحة، حيث نلاحظ في اللوحة استعمال اللون الأبيض تمثل في الحصان الذي تركبه المرأة ونجده أيضا في العمامات بكثرة و في أكماما اللباس التقليدي الذي يرتديه الرجال، استخدم البني بتدرجاته فظهر البني الداكن على بشرة الرجال وعلى جذع النخيل وعلى ذيل الأحصنة، أما البني الفاتح أو المتوسط فيظهر في لون الحصان الموجود على يمين اللوحة وفي الأسلحة المتمثلة في السهام، كما يغلب اللون البني على إطار اللوحة الداخلي، كما نلاحظ اللون الأزرق الأساسي في الجزء العلوي من جسد التينين وفي عمامة الشخص الموجود على اليمين والبعض منه على الأرضية كما في القليل منه في رقبة الحصان الموجود خلف رأس التينين مباشرة وبكمية جد قليلة أيا على النباتات الموجودة أسفل يمين اللوحة.

وإستخدم الفنان كذلك اللون الثانوي الأخضر على باقي جسم التينين من منتصف الجسد تقريبا إلى ذيله وكذلك نلاحظه على أوراق النخيل وعلى النباتات المتواجدة أسفل اللوحة على اليمين كما استعمال اللون الأصفر والذي تمثل في جناحي التينين وفي اللباس الذي ترتديه المرأة التي تركب الحصان الأبيض المتواجد على يسار اللوحة وكذلك في قبعة الرجل المتواجد على يمين اللوحة إضافة إلى لون التمرور وعلى أوراق النباتات المتواجدة أسفل اللوحة ونلاحظه كذلك في أنياب التينين وبين عينيه وحتى داخلهما.

وهناك من الألوان التي استعمالها بشكل جد قليل كالوردي الفاتح جدا والمتمثل في اللباس الذي يرتديه الرجل الموجود على اليمين اللوحة وببدو هذا اللون يشبه لون الداء والأصفر الفاتح جدا الذي تمثل في الحجارة المتناثرة على يمين اللوحة بين النباتات وعلى يسار اللوحة بين الحصان والتينين، كما استعماله على الخلفية التي تمثلت في السماء.

كما استخدم الفنان اللون البرتقالي المحمر والذي تمثل في الرداء الذي تلبسه المرأة ولون شعرها إضافة إلى الزي الجزائري الذي يرتديه الرجل المتواجد على يسار اللوحة.

كذلك الرمادي الفاتح وذلك على الأرضية.

أما الأسود فاستخدمه الفنان للإطار الخارجي للوحة كونه استخدم إطارين الأول أسود (إطار خارجي) والثاني بني (الداخلي).

الإضاءة: اللوحة تظهر بشكل جيد فهي في وضوح النهار فقد وزع الفنان بشكل منسجم بحيث لا نجد مكانا مظلمًا وآخرًا مضيئًا، فقد استغل أوغستن الضوء بشكل جيد في إظهار عمق الأجسام وحجمها سواء كانت بشرية أو حيوانية أو جامدة وكما أنه أحسن استخدام الألوان الفاتحة التي تعكس الضوء في الأماكن المضيئة كالأبيض الفاتح والأصفر الفاتح.

وبالنسبة للملمس: فيمكن إدراكه بصريا حيث أنه يرتبط باختيار الفنان للخامة المستخدمة وهنا اللوحة منجزة بتقنية الفسيفساء وبالتالي خلفت نوعا من الخشونة .

التمثيل الأيقوني:

اللوحة جاءت في إطار مستطيل فقد استخدم الفنان إطارين الخارجي أقل سمكا من الإطار الداخلي الذي هو أعرض منه أما في قلب اللوحة فقد تنوعت وتعددت الأشكال والتمثيلات الأيقونية بحيث استخدم "أوغس" أغلب أنواع الخطوط التي يمكن أن نراها في الطبيعة (منحنية، مستقيمة، عمودية، أفقية، متموجة، منكسرة وأشكال عديدة) "إذ يمكن أن نلمح بكثرة الخطوط المنحنية التي تعبر عن الأنوثة والنعومة والرشاقة والرقّة والطراوة وبالنسبة للخطوط المنحنية لاحظنا أنواع منها الخطوط ذات المنحنيات الواسعة التي توحى بالهدوء"¹ التي لمناها في أجساد الأحصنة وعلى أوراق

¹ ابن دحمان كريمة، دلالية الصورة التشكيلية، مقاربة لوحية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب واللغات، قسم الفنون، 2016/2015، ص 58.

النباتات، وكذلك لاحظنا وجود الزوايا الصغيرة مثلا في فم التنين وعند أرجل الأحصنة وحيث توحى الخطوط المنحنية ذات الزوايا الصغيرة بالارتباك والاضطراب والعناصر الطبيعية المأخوذة منها هذه الخطوط متمثلة في أمواج البحر والغيوم وبعض أوراق النباتات والوديان ... وغيرها وتوحى أيضا الخطوط المنحنية بحركات دورية ديناميكية¹

أما الدوائر لمخاها في عين الأحصنة وقبعات الرجال وفي عيني التنين بحيث أنها عبارة عن رموز لا للبداية ولا للنهاية ولا تسير إلى اتجاه معين وهي دائما في حالة تعادل وهي تغني أيضا الدوار والحصان والقيد².

استخدم الفنان أشكالا بيضوية وهي تميل لوجوه الأشخاص وبالنسبة لوجوه الرجال فهي تحتوي على خطوط لا يعطي إحساسا بالشونة أما المرأة فيظهر وجهها خال من الخطوط لا يعطي إحساسا بنعومة بشرتها وشبابها كما نلمح خطوطا مائلة وذلك في الأسلحة التي يحملها الأشخاص والتي هي عبارة عن أسهم مصوبة نحو التنين بحيث توحى هذه الخطوط بأحاسيس حركية تصاعدية أو تنازلية، كما يكون للخط المائل طاقة في الاتجاه الأفقي أو العمودي.

نلمح كذلك الخطوط المتموجة والتي تظهر في شارب التنين وعلى ذيل الأحصنة وهي توحى بنوع من القوة والركة.

إذا ما ثبنا النظر نحو قلب الصورة يواجهنا تكوين مثلثي الذي يضم التنين والحصان الأبيض والراة، وغالبا التكوينات المثلثية تعطي إحساسا بالرسوخ وبقوة درامية يتعذر أن يثيرها أي تكوين آخر.

كما نلاحظ اهتمام الفنان بالمنظور فنجد أن الأجسام في اللوحة موزعة بشكل منطقي التنين والحصان والمرأة في المقدمة وفي الجانبين الرجال فوق الأحصنة تليهم النخيل ثم السماء.

¹ قالق إخلص، أهمية الألوان في التصميم، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب واللغات، قسم الفنون،

2013/2012، ص 14.

² المرجع نفسه، ص 15.

3/الموضوع:

علاقة اللوحة بالعنوان:

بالنسبة لهذا العمل غير متوفر معروف فقط باسم فسيفساء محكمة تلمسان. يمكن ان نعطيه اسما

من عندنا : العدالة

الوصف الأولي لعناصر اللوحة: في البداية نلاحظ أن اللوحة يحدها إطارين وهي تضم أشكالا

بشرية وحيوانية وأخرى جامدة تملأ أرجاء اللوحة وأكثرها بروزا الحيوانية التي يمثلها التنين والأحصنة والبشرية التي تمثلها المرأة أولا وبعدها الرجال.

المرأة التي تبدو ذات بنية قوية وكذلك الرجل يبدو وكأنه من بيئة صحراوية أقوياء البنية وكذلك

الحال بالنسبة للأحصنة حيث تظهر قويا بوضوح من خلال شكلها.

يبدو التنين في منتصف اللوحة أقرب إلى النظر وكذلك المرأة صاحبة الحصان الأبيض حيث سلط

عليهم الضوء بشكل بارز تظهر المرأة فوق الحصان مصوبة سلاحها نحو التنين مبرزة كامل قوتها اما

التنين يبدو بعينين بارزتين ومكشرا عن أنيابه للتعبير عن الغضب الشديد.

أما الرجال فوق الأحصنة فعددهم أربعة وكلهم يمتطون أحصنة قوية يحملون أسلحتهم ويبدون

جد غاضبين حيث ظهر الرجلان اللذان على يسار اللوحة مصحوبان سلاحهما نحو التنين وأبدى

كل الأشخاص سواء المرأة او الرجال الاربعة غضبهم من خلال نظراتهم المخيفة الموجهة نحو التنين،

كما تبدو الرجال من بيئة صحراوية كونهم لديهم بشرة جد سمراء ويرتدون الزي الجزائري وقبعات كبيرة

الجم أما المرأة فهي ليست من بيئة جزائرية وإنما أوروبية يمكن أن تكون فرنسية، كما نلاحظ كذلك

أن عيون الأحصنة أيضا مسلطة على التنين الذي هو عبارة عن كائن أسطوري شبيه بالزواحف و

الذي ورد ذكره في الكثير من القصص والأساطير ولقد قيل عنه في الأساطير القديمة أنه رمز للقوة،

فقد كان يتمتع بقوة لا حدود لها وجلده صلب قادر على التحليق بسرعة بينما زججته تثير الرعب وفي

هذا العمل يبدو التين أوريبا حيث ظهرت في الأساطير أن التين الأوربي له أجنحة تشبه أجنحة الخفافيش على ظاهره".¹

ويجد على خلفية العمل النخيل هذا ما يتبين أنها أرض وبيئة جزائرية.

4/بيئة اللوحة:

الوعاء التقني والتشكيلي الذي وردت فيه اللوحة:

تنتمي هذه اللوحة لصاحبها "أوغس" فراندو" و إلى أسلوب معين في فن التصوير وهو فن الفسيفساء التي تميز بعدة خصائص سبق وأن أجهلناها من قبل في الجانب النظري، ابرز الفنان في هذا العمل البيئة الجزائرية يظهر ذلك من خلال الرجال والأحصنة والأزياء الجزائرية ومجريات تاريخية وقعت فيها، فهناك أربعة رجال جزائريين يمتطون أحصنة أصيلة قوية البنية وامرأة أوربية تمتطي كذلك حصانا أصيلا وقوي البنية كلهم مسلطين النظر على التين الضخم ويجاربونه.

علاقة اللوحة / الفنان:

يتبين من خلال هذه اللوحة رجالا جزائريين ببنية قوية يرتدون البسة جزائرية ويكبون أحصنة جزائرية قوية يحملون أسلحة رفيعة امرأة ويجاربون.

اختياره لهذا الموضوع يعطينا انطبعا بمدى تأثر الفنان بالثقافة الجزائرية والتاريخ الجزائري، فأراد أن يوصل لنا رسالة يبرز فيها التاريخ الجزائري وبعض أواب الثقافية للجزائر .

أما رمزية المرأة فهي تعبير عن الدولة الفرنسية التي تحكم الجزائر باعتبارها قطعة منها، وهذا ما يتنافى مع الواقع التاريخي والسياسي والاجتماعي والحضاري لهذه الفكرة إنها محاولة الدمج والذوبان وطمس الهوية وإثبات السيطرة بطريقة زر ع فكرة الحماية والدفاع والاحتواء وكل ما يمكن أن يصدر من ردا

¹ <https://at.wikipedia.org/wiki>.

فعل الأم عندما تواجه عملية اغتصاب لأبنائها أو حقوقها أولها، وهذا ما حاول الفكر الاستشراقي في بثه في روح الشعب الجزائري وهو عنصر الانتماء والذوبان في الدولة الفرنسية.

القراءة التأويلية (التضمينية):

رسم الفنان مشهد يحمل ملامح انثروبولوجية تبدو انها معركة، حيث نلمح وجود الرجال الاربعة مع امرأة في المقدمة يحملون أسلحة مصوبة نحو التين الذي يرمز إلى القوة والرعب ويمثل أيضا الحقد والشر كما له عينا بارزة فهو ذو نظر حاد وثاقب وأنياب مكشرة تشبه أنياب النازير الكبيرة ولمكنها أرقع وملتوية ومسننة مثل أسنان سمك القرش وهذا ما يرمز إلى غضبه الشديد إضافة إلى أن التين يرمز إلى الوحش الذي يجسد الشيطان في المعركة الحاسمة بين الخير والشر، كما نلاحظ أن الفنان جسد المرأة وهي تمتطي الحصان وحاملة للسلاح تحاول القضاء على التنا أي على الشر، وبالنسبة لملابسها فهي تبدو أوربية وفي فرنسا تمثل المرأة الحرية ف"ماريان" Marian تجسد الجمهورية الفرنسية وهي تشخيص للحرية حيث يوجد تمثال نصفي لها في كل قاعة بلدية بفرنسا ووجهها مرسوم أيضا على الطوابع البريدية المهدف منه التبعية والتبني .

اما فيما يخص الاحصنة فهي ذات جسم رشيق وقوي واذاها منتصبه مما يدل على انها احصنة عربية أصيلة وهذه الأخيرة توحى بالكمال والقوة والصبر والجمال والنشاط الدائم والحرية والنجاح.

وفقي هذا العمل تبدو مؤهبة لخوض المعركة كما صور الفنان أيضا الرجال ببشرة سوداء وبنية قوية وتدين زبائء جزائرية تبدو على وجوههم خطوط تدل على المعاشن هذا ما بأم من بيئة صحراوية مسخرين كل قواهم من أجل القضاء على التنا الذي يثل القوة والشر والعداوة والذي جسد بأجنحة مما يثبت أنه تين أوربي.

بالنسبة لفنية المشهد تبدو لنا بعض أوراق النخيل بلون أخضر الذي يدل على السعادة والفرح والسلام، فهو يريح العين ويرخي الأعصاب، كما يرمز أيضا إلى الهدوء والتسامح وإلى حب تقاسم

المساعدة للغير، إضافة إلى ظهور الجزء العلوي من الجذع وبروز عرجون التمر بالنخلة الموجودة على
المسار والتمور تل على أرض جزائرية وبيئة صحراوية".

أما الأرضية التي يتركز عليها التين بدت مشققة ربما للدلالة على اقتراب نهايته والتخلص منه وبالتالي
القضاء على الشر والظلم ورفع راية العدالة.

وفي الأخير تبدو اللوحة عنيفة لكن مضمونها ليس عنف وإنما تعني محاولة القضاء على الظلم.

نتائج التحليل: من خطوات التحليل السابقة نستخلص ما يلي:

- استطاع الفنان من خلال اللوحة أن يبين لنا مدى تلاحم وتعاون الشعب الجزائري وقوته في القضاء على الظلم والشر وبالتالي رفع راية العدالة.
- لقد أحسن الفنان استخدام المساحة بتوزيع العناصر بشكل منتظم ومنسجم وذلك بتوظيف الخطوط بأنواعها واحترام قواعد المنظور.
- وفق الفنان إلى حد كبير في استخدام الألوان بتقسيماتها الأساسية منها والثانوية، الحارة والباردة، الفاتحة والداكنة، كما تحكم في الإضاءة ووظيفتها بالشكل المناسب للدلالة على أفكاره.
- اعتنى الفنان كثيرا برسم ثياب الشخص وتنويعها مستخدما دلالتها السيميولوجية إذ أنها قد تشير إلى ثقافة مجتمع ما وهذه نقطة مهمة استطعنا أن نستقرئها من اللوحة ومن تنوع أزيائها ودقة تفاصيلها.

- عبر "أوغس" فراندو عن الظلم والشر من خلال تجسيده للتين الأوربي ومحاولة القضاء عليه من طرف أربعة رجال وامرأة .

- جدارية أوغستن فراندو كانت ملحمة ساخنة بين الخير والشر والعدالة والظلم بألوان مختلفة وبأزياء جزائرية محضة.

إلا أن فكرة ورمزية المرأة تبقى الدلالة الخفية للبعض والجلية للبعض الآخر ممن خبر نيات وترصيدات الاحتلال الفرنسي، من خلال تسخير طاقاتهم الفنية في إرساء دعائم الدولة الرنسية في بلادنا.

خاتمة

تبين لنا من خلال دراستنا لموضوع الفسيفساء في الجزائر جدارية محكمة تلمسان نموذجاً

النقاط التالية:

- تمتعت الفسيفساء في الجزائر بمزايا هامة وأهمية قصوى، حيث انها تعد من اروع الشواهد الفنية، فهي تعكس لنا مدى الرقي الحضاري الذي وصل إليه الفنانون القدامى وشاهدنا التنوع للمواضيع من خلال بعض الأمثلة عن المعبودات الرومانية وعن بعض المعالم الأثرية بمختلف ولايات الجزائر وبذلك نرى أن الفسيفساء أحد الفنون التي استخدمت على مر العصور في زخرفة الحوائط والأرضيات والتي جمعت بين الزخرفة والتشكيلات التصويرية كالأعمال الموجودة بشرشال وتيمقاد، فالفسيفساء ظهرت مرادفة للصور الجدارية التي لم تكن قد انتشرت كثيراً وكان ظهورها عملاً تزيينياً يجل الجدران ويكسو الأرض الواسعة.

- اعتبرت الفسيفساء بمثابة سجلات أعطت خلفية واضحة عن تجليات مختلف الحضارات في عصورها المزدهرة بالجزائر وما أشارت إليه هذه الفسيفساء أعطى لنا صوراً وأفكاراً عامة عما كان سائداً آنذاك، ويعتبر هذا الفن الأكثر صموداً بين الفنون التزيينية التي ولدت في العصور القديمة.

- شهدت الجزائر تعاقب مختلف الحضارات بما في ذلك حكم النوميديين والفينيقيين والرومان الذين خلفوا بصمتهم بها بعض الاعمال الفسيفسائية التي لا تزال خالدة إلى يومنا والتي جسدوا بها مناظر طبيعية ومناظر من الحياة اليومية ورسوم لحيوانات اسطورية عبروا من خلالها عن معتقداتهم الدينية، إذ أن الزخرفة والتزيين هي هدف أساسي في الفن الفسيفسائي تساعد في الخوض في تلافيف أعماقها نافذاً من خلال المواد الجامدة إلى معنى الحياة.

قد يرى غالبية الناس أن الفن يندرج ضمن قائمة الأمور الترفيهية التي ليس لها وظيفة إلا امتناع النفس البشرية بالجمال، ولكن بالأحرى فن يعتبر حقلاً خصباً للدراسة والبحث على صعيد عدد كبير على صعيد عدد كبير من مجالات العلم والمعرفة.

ولقد أتاح لنا دراستنا التحليلية لجدارية محكمة تلمسان، الكشف عن نقل المعاني التي تحملها والدور الرسالي الكبير الذي تلعبه، فقراءة اللوحات الفنية تعكس منا بقدر ما تعكس من الفنان ثقافة واسعة ودور الفن الإستشراقي في غرس قيمة الدولة الفرنسية المحتلة لارضنا على انها الام ويتطلب منا ذلك وعيا بهذه الرسائل السلبية التي كان يسعى اصحابها إلى طمس الهوية الجزائرية العربية الإسلامية..

1. ملحق الصور:

الصورة 01: حجارة ثمينة / موسى ديب الخوري الفسيفساء فن فريق ومتجددة، مطبعة ماجد الزهر

الصورة 02: حجارة ملونة / موسى ديب الخوري - المرجع نفسه

الصورة 03: فسيفساء المكعبات الصغيرة usvernicultium/ نفسه

الصورة رقم 04: جانب فسيفساء كنيسة يوحنا قرية النبعة طرابلس، شمالي شرق حلب وتعود إلى

العصر البيزنطي في بداية القرن الخامس الميلادي / نفسه

الصورة لارقم 05: جانب من فسيفساء الجامع الموي بدمشق، حيث تختلط الأشكال الهندسية مع

رسوم نباتية في دقة وضعة رائعين / نفسه.

الصورة رقم 06: فسيفساء من قلعة مكاور / www.lakii.com

الصورة رقم 07: فسيفساء مكاور / www.visitjordan.com

الصورة رقم 08: لوحة فسيفساء من كنيسة آيا صوفيا/ www.arabchurch.com

الصورة رقم 09: لوحة فسيفساء من كنيسة الامبراطور جستيان/

<https://www.google.com?Q>

الصورة رقم 10: فسيفساء قرطاجية من أحد متاحف تونس / موسى ديب الخوري، الفسيفساء فن

عريق ومتجدد، مطبعة ماجد الزهر.

الصورة رقم 11: فسيفساء الجامع الأموي الكبير بدمشق - من أجمل المعالم الفن الإسلامي / المرجع

نفسه

الصورة رقم 12: لوحة فسيفسائية لانتصار نبتون بمتحف شرشال / sberh Ferdi ;
Mosaïque des Eaux En Algerie : un langage mythodologique
des piennes.

الصورة رقم 13: صورة لفسيفساء نيوتن وأمفيتريني / Ibid

الصورة رقم 14: لوحة فسيفسائية لعربة نيوتن بمتحف تيمقاد / Ibid

الصورة رقم 15: صور لانتصار فينوس بمتحف سطيف ... Ibid

الصورة رقم 16: صورة لفسيفساء استحمام فينوس بشرشال ... Ibid

الصورة رقم 17: صورة لانتصار باخوس بسطيف / مذكرة لنيل شهادة ماستر للطلبة عمالية والهدى
وزيول فاطمة الزهراء، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945،
2015-2016م.

الصورة رقم 18: صورة لفسيفساء النصر الباغي بشرشال / المرجع نفسه.

الصورة رقم 19: صورة لمثدنة سيدي حلوي / براهيم نصر الدين، تلمسان الذاكرة، دار تالة للنشر
والتوزيع، الأبيار، الجزائر.

الصورة رقم 20: صورة لمسجد سيدي بومدين / المرجع نفسه

الصورة رقم 21: صورة لباب الخميس / المرجع نفسه.

الصورة رقم 22: صورة لفسيفساء خزفية ذات زخرفة شطر نجية بقلعة المشور / لخضر درياس
وآخرون، حفرة قلعة المشور الزبانية، وزارة الثقافة، قسنطينة، 2011م.

الصورة رقم 23: صورة لفسيفساء خزفية ذات زخرفة هندسية بقلعة المشور / المرجع نفسه.

الصورة رقم 24: صورة لفسيفساء خزفية ذات زخرفة هندسية ونباتية بقلعة المشور/المرجع نفسه

الصورة رقم 25: صورة لفسيفساء خزفية ذات زخرفة هندسية بقلعة المشور/نفسه.

الصورة رقم 26: صورة لفسيفساء خزفية ذات زخرفة نباتية بقلعة المشور / نفسه

الصورة رقم 27: صورة للفنان أوغستن جون فراندو /

<https://goo.gl/images/wwavaGV>.

الصورة رقم 28: صورة لفسيفساء جدارية محكمة تلمسان / نفسه

الصورة رقم 29: صورة لفسيفساء جدارية محكمة تلمسان / صورة حية من محكمة تلمسان.

2. ملحق الأشكال:

مخطط قصر أرسلان طاش / www.discover.syria.com

خريطة تلمسان / الحاج عمر العشعاشي، ماضي تلمسان المجيد ISBN، تلمسان 2002.

أ. الكتب

- ابراهيم بظاظو وآخرين، صيانة وحماية الفسيفساء، دراسة في السياحة المستدامة، ط1، مؤسسة الوارق، عمان 2013.
- الحاج عمر العشعاشي، ماضي تلمسان المجيد، ISBN، تلمسان 2002.
- أمين سلامة، معجم الأعلام الأساطير اليونانية والرومانية، الطبعة 2، مؤسسة العروبة، 1988.
- حمادي الوزان، الفسيفساء، دار أبجد للنشر والتوزيع، عمان - الأردن: 2015.
- د. بركات سعيد محمد، الفن الجداري الخامة، الغرض، الموضوعات، الطبعة 1: 1428هـ- 2008م، القاهرة.
- صالح الدين أبو عياش، معجم مصطلحات الفنون، الجزء الثاني: دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان 2015.
- لخضر درياس وآخرون، حفرة قلعة المشور الزبانية، وزارة الثقافة، قسنطينة، 2011.
- موسى ديب الخوري، الفسيفساء فن عريف ومتجدد، مطبعة ماجد الزهر.
- منير بوشناق، التصريح الملكي الموريتاني، تعريب عبد المجيد حاجيات، مكتبة ساسي عابدي، مديرية المتاحف والآثار والمباني التاريخية بالجزائر.
- نصر الدين براهيم، تلمسان الذاكرة، دار تالة للنشر والتوزيع الأبيار، الجزائر، سنة 2011.
- نعيمة بيت وحماني، الأساطير الإغريقية والرومانية من خلال فسيفساء تونس / (إجازة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخميس الرباط، 189.
- نورهان الجندي، سحر التفاصيل فيخلق الجمال، فن الموزاييك، صناعة، تاريخه وحاضره، جانفي 2015.

ب. المقالات:

- بلكمال البيضاءوية – المرأة من خلال فسيفساء شمال إفريقيا – أصنافها، وأدوارها ووظائفها، مجلة أمل العدد 27، الدار البيضاء.
- حلا الصابوني، د. علي السرمدي، ملخص الفن الإسلامي في الشرق العربي منذ نشأته حتى القرن العاشر ميلادي في نماذج من الفنون الجدارية (فسيفساء وتصوير جداري)، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد الخامس والعشرون، العدد الثاني، 2009.
- د. محمد عزيز شكري، الموسوعة العربية، المجلد 14، مؤسسة الصالحين للطباعة، ط1، 2002.
- نجمة سراج رميلي، الفسيفساء الدونونيزية في الجزائر خلال المرحلة الرومانية، مجلة إيكوسينيم، العدد 2، الجمعية الجزائرية للحفاظ وترقية التراث الأثرية، الجزائر، 2013.

ج. الدراسات والرسائل الجامعية:

- مذكرة لنيل شهادة الماستر – أهمية الألوان في التصميم للطالبة الإخلاص فالح، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان – كلية الآداب واللغات – قسم الفنون – السنة الجامعية 2012م-2013م.
- مذكرة لنيل شهادة الماستر الفسيفساء في الجزائر، مدينة تيبازة نموذجاً للطالبة إبرير زهرة- جامعة تلمسان – كلية الآداب واللغات – قسم الفنون – السنة الجامعية 2016-2017م.
- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار اليونانية والرومانية / 44 شارع سلوتير +الأزارطية لعبير قاسم، ملتقى الفكر، سنوسي - قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان 1990.
- مذكرة لنيل شهادة الماجستير في فن الفسيفساء الروماني (المنظر الطبيعية، roman Mosaic) 44 شارع سلوتير+الأزارطية، ملتقى الفكر، الإسكندرية، 1999.

- مذكرة لنيل شهادة الماستر في الفنون التشكيلية - دلائلية الصورة التشكيلية - مقارنة سيميولوجية - للطالبة كريمة بن دحمان، كلية الآداب واللغات - قسم الفنون جامعة تلمسان، 2015-2016.
- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير - فيفساء المتحف الوطني للآثار القديمة، دراسة تنظيمية وترميم للطالبة ليلة شيخ لويس معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، سنة 2009م.
- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جرد التحالف الأثرية بمتحف جميلة (كويكول القديمة) للطالب محمد أكلي خربان، معهد الآثار، 2007.
- مذكرة لنيل شهادة الماستر - الفن التشكيلي في الجزائر - للطالب محمد يوسف، قسم الفنون - جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، سنة 2014-2015م.
- رسالة لنيل شهادة الماجستير - المدارس الأساسية للفيسفاء والأموية في بلاد الشام - الجمعة الأردنية 1989.
- مذكرة لنيل شهادة الماستر - المعبودات من خلال الفيسفاء الرومانية في شمال للطلبتن نور الهدى عمايرية وزبول فاطمة الزهراء ... كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 8 ماي 1945م، بسطيف سنة 1436هـ، 2015-2016م.

د.المواقع الإلكترونية:

- www.cmakan.com
- www.ouhiba.com فيفساء كنيسة شلف
- konouz.ahlamontada.com/t/072.topic.
- <https://cetclealgerianniste.fr>.
- [https:// www.elmaouid.com](https://www.elmaouid.com)
- [https://www. Djazairess.com](https://www.Djazairess.com)

- <https://tagmagazine.com> .فسيفساء
- <https://tagmagazine.com> فسيفساء.ميلة
- <https://tagmagazine.com> فسيفساء. قسنطينة
- <https://news.travelrepedia.net>.
- [Hhttps://m.sfari.com](https://m.sfari.com).
- <https://www.nonpst.org>content>.
- <https://jeayvesthorrigibac.fr>.

هـ.المراجع باللغة الفرنسية:

- Bordman ; Griffingjand Murray ; the oxford history of the classical.
- Charles Brosse Lard: “les onscriptions Arabies de tlemcen”
- Jean Béreard ; un Triiomphe Bachique sur une Mosaïque de cheerchelin : M.A.H .Tome 53 : 1994
- Sabah ferdi : Mosaïque des Eaux en algerie : Un langage my thologique des pierres.
- Schimidith Joel, sictionnaire de la mythologie greque et Roman.
- Suzanne Germain ; les mosaïques de Timgad : Etude descriptive et analytique : Iréface de Jeanlassy édition : C.N.R.C paris 1969.

أ.....	مقدمة
1.....	الفصل الأول: الفسيفساء: النشأة والتطور
2.....	تمهيد
2.....	المبحث الأول: فن الفسيفساء
2.....	مفهوم فن الفسيفساء
5	ما هي الفسيفساء Mosaic بالإنجليزية
6.....	نشأة الفسيفساء
14	المبحث الثاني: تاريخه وتطوره
34.....	الفصل الثاني: الفسيفساء في الجزائر
35.....	تمهيد
35.....	المبحث الأول: الفسيفساء في الجزائر
35.....	تطور الفسيفساء في الجزائر
39.....	المبحث الثاني: أبرز معالم الفسيفساء في الجزائر
39.....	1- فسيفساء انتصار نيون

- 2- فسيفساء نيوتن وأمفيتريتي.....4
- 3- فسيفساء عربية نيوتن43
- 4- فسيفساء شرشال.....45
- 5- فسيفساء انتصار فينوس.....47
- 6- فسيفساء استحمام فينوس بشرشال.....48
- 7- فسيفساء للانتصار الهندي بسطيف.....51
- 8- فسيفساء النصر الباخي.....53
- الفصل الثالث: الفسيفساء في مدينة تلمسان.....56
- الفسيفساء في جدران محكمة تلمسان.....57
- مكانة تلمسان التاريخية والأثرية.....59
- الفسيفساء بتلمسان.....60
- الفسيفساء مسجد سيدي الحلوي.....60
- الفسيفساء مئذنة سيدي يومدين.....62
- الفسيفساء مدرسة العباد.....64
- الفسيفساء المدرسة التشفينية.....65
- الفسيفساء الخزفية في حفرة قلعة المشور.....65
- المبحث الثاني: دراسة لجدارية محكمة تلمسان.....73
- الوصف.....74

76.....	التحليل
79.....	التفسير
81.....	نتائج التحليل
87.....	الخاتمة
90.....	الملاحق
93.....	قائمة المصادر والمراجع
97	الفهرس

ملخص الدراسة

لقد تعدت الفنون وتنوعت وشملت شتى مجالات وميادين الحياة، حيث أصبح الفن بمثابة المرآة العاكسة للإنسان من حيث الأهمية البالغة في حياة الأفراد وكذا المجتمعات، ويجد فن الفسيفساء واحدا من بين مئات الفنون، فهو يعتبر من بين أعرق الفنون وأقدمها يعود في أصله إلى الكلمة اليونانية muses التي يقصد بها إله الفنون والجمال التسعة، وقد عرف فن الفسيفساء منذ عهد مبكر في بلاد ما بين النهرين.

أما عن أقدم فسيفساء فقد وجدت في اليونان في القرنين الخامس والرابع ق.م بعدها ظهرت الفسيفساء الرومانية، وشاع استعمال الفسيفساء خصوصا في الدولة البيزنطية إلى غاية قدوم الدولة الإسلامية أين اقتبسها الفنان المسلم واستخدمه في زخرفة وتزيين المساجد والقصور والمنشآت المعمارية بأنواعها، ونذكر من ذلك نماذج عديدة في الجزائر: منها متواجد بقلعة المشور بتلمسان، والجامع الكبير بذات المنطقة كذلك نجد هذا الفن بتيبازة وشرشال، وتيمقاد وغيرها من المناطق التي تزينت بهذا الفن.

الكلمات المفتاحية: الفن – الفسيفساء – جدارية محكمة تلمسان

Résumé :

Il ya eu de nombreux arts et variés, et inclus plusieurs domaines de la vie, où il est devenu un reflet de l'humain en termes de la plus importante dans la vie des individus et des sociétés.

La mosaïque est l'une des centaines d'arts, il est considéré parmi les arts les plus anciens, son origine vient du mot grec « muses » qui est signifiée par les dieux de l'art et de la beauté. La mosaïque connue depuis l'ancienne Mésopotamie, mais les plus anciennes mosaïques ont été trouvées en Grèce aux cinquième et quatrième siècle avant Jesus-Christ, puis vint les mosaïques romaines et ensuite l'utilisation de mosaïques, en particulier à Byzance où il y a beaucoup d'exemples. Cet art a continué à être utilisé très souvent à l'arrivée même de l'état islamique, où l'artiste musulman l'a utilisé dans la décoration des mosquées et des palais. Nous mentionnons de nombreux exemples de cet art en Algérie comme : « le château d'Al-Mashouar » et « la grande mosquée de Tlemcen » sans oublier plusieurs mosaïques à Tipaza, Cherchel et Timgad et d'autres régions.

Abstract :

There are many arts and varieties including many areas of life; where it has become a reflection of the human in terms of most important in the lives of individuals and societies.

The mosaic is one of hundreds of arts, it is considered among the oldest arts, its origin is Greek "muses" which is signified by the gods of arts and beauty, the mosaic human know since early mesopotamia, but the oldest mosaics were found in Greece in the fifth and fourth centuries before Jesus Christ, then came the Roman mosaics and then the use of mosaics especially at Byzantium where there are many examples, this art continued to be used very often at the very arrival of the Islamic state, where the Muslim artist used it in the decoration of mosque and places, were mention numerous examples of this art in Algeria such as: AL Mechouar Castle and the grand mosque of Tlemcen besides Tipaza, Cherchel and Timgad and other regions.